الحرمل
AL harmal

الحريــة دائمـــاً
Herdaim Özgürlük

السنة الأولى / العدد الأول / 1 تشرين الأول 2014

ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ تصدر عن مؤسسة توتول الإعلامية بالتعاون مع بيت الرقة لكل السوريين

Kültür - Siyasi - 15 günde bir

عين العرب (كوباني) في عيون أهلها

مجزرة شارع تل أبيض

شاهد عيان للمجزرة التي ارتكبها طيران النظام يوم السبت في شارع تل أبيض الرقة..

كنت أقف بعد سينما الزهراء لجهة الجنوب فانقض الطيار بطائرته وأطلق صاروخين فانفجرت في بناء مقابل فرن الأندلس، وكان الشارع يغص بأهالي البلد، بعد أن انقشع الغبار لم أرَ أحداً يمشي أو يزحف أو حتى يتحرك، وأنا رجل تجاوزت الستين من العمر لا أستطيع فعل شيء فناديت يا ناس يا عالم أين أهل المروّة انجدوا إخوتكم؟! في هذه الأثناء انقضّ طيار آخر وقصف منطقة جامع الشراكسة المجاور. اتجه المئات من أهل البلد يلبون نداء الواجب في محاولة رفع الأنقاض وإسعاف الجرحى، وبعد الغارة الأولى بمدة ١٢ دقيقة تماماً انقضّت طائرة ثانية أو هو نفسه وأطلق صاروخين على نفس المكان الأول حيث الأهالي تجمّعوا للإنقاذ، انقشع الغبار لم أرَ أحداً. أين تبخّروا لا أعرف فيا أخي لا تحاول إقناعي أنّ الشهداء أقل من ٢٠٠ فلن أصدقك وأكذّب عيني؟!

مفتتح الكلام

الجحيم السوري وجنته المرتقبة

ماجد رشيد العويد

هل مرّ سندباد ألف ليلة وليلة بأهوال تعادل أهوال السوري، وهل من رواية استطاع خيال صاحبها تصوير الجحيم بمعناه الديني والدنيوي؟ بل كذلك لو ذهبنا إلى الكتب السماوية فإنها لم تزد على أن قدمت صورة للجحيم استطاع العقل البشري مقاربتها، واستطاع تمثل الهيئة التي جاءت عليها وعمل على نفيها من ساحة التأثير عليه.

بالقطع واليقين الراسخ سيكون الجواب لا، وهذه الإجابة تجعلنا نصدق من غير بحث ومن دون تأن أن الواقع ليس فقط أغرب من الخيال وإنما كذلك «يجود» بما لا تصدقه العين وهي تراه، ولا يعيه العقل ولا يجد سبيلاً في هذه الدوامة إلى حل يرتجي منه الوقوف على هذه المآلات. فمن الموت عندما كان الحراك سلمياً إلى الموت تحت التعذيب، وتلك الصور التي لا يتحملها عقل بشري، إلى الموت بالطائرات والصواريخ والبراميل المتفجرة إلى الموت غرقاً هرباً من الموت الذي سكن أزقة وسبل سوريا كلها.

يعيش السوري ثورة مغمسة بدمه. هذه الثورة أخذ بها قراراً لا يملك أن يتراجع عنه حتى نواله حريته وكرامته.

ولم يكن الجحيم يوماً على غير الصورة التي سعت الأديان إلى تقديمها بقصد ترهيب البشر وأخذهم إلى جادة الحق والخير والجمال المشتهى إنسانياً، بينما ظل الجحيم السوري يشتعل بقصد إخافة السوري وإعادته إلى الحظيرة. اللافت هنا مقدرة السوري على الاستمرار بالرغم من إطالة عمر النزيف، وأن الثابت ذهابه إلى حريته وكرامته عبر هذا الثمن الباهظ من الضحايا البشرية وتدمير الممتلكات.

الثابت الآخر أن الطاغية المتوسطي والسوري على وجه التحديد استفاد كثيراً من الأدبيات التاريخية والدينية في تطوير العقل النازع إلى الجريمة «المثالية» إن صح التعبير عبر سلخ الجلود وقطع الرؤوس مستفيداً أو هو يحاول أن يستفيد من الرعب المستقر في النفس البشرية عبر التربية التي يتلقاها يومياً عشرات المرات في المنزل والمدرسة، والتاريخ العربي حافل عبر عصوره كلها بصور دالة على زرع الرعب، وليست الفيديوهات والصور المرعبة المسرّبة عبر ما يقرب من أربع سنوات سوى النسخة المشوهة لأصل يحتفظ بالبراعة في تربية الخوف وتنميته ورعايته وتحوّله إلى رعب ربما غير قابل للتكرار على غير يدي الأسدين.

ونحن في الحرمل نريد متابعة ثورة القرن التي لم يشهد التاريخ مثلها، وأن نقف على دقائقها وتفاصيلها لا يشغلنا عنها أمر مهما كبر، ولهذا فإن سياسة الصحيفة تقوم ابتداء على احترام المكونات السورية جميعها وتحاول مخاطبة السوريين بلا استثناء ومن خلالهم مخاطبة العالم ومن قبله الإقليم، ساعية إلى دور مساهم في إسقاط النظام السوري مرة واحدة، والذي بسقوطه ينفتح البحر الأبيض المتوسط على الحرية، وهذا ما لا تريده أنظمة كثيرة، وهو السبب الأهم في استمرار النزيف السوري.

آثار سورية في مهب الريح..؟!

تعرضت مواقع عدة لقصف الطيران والمدافع والصواريخ أتت على معظم القلاع الأثرية، والجوامع والكنائس القديمة في درعا وحمص ودير الزور والرقة وحلب ودمشق، وكان أبرزها السوق القديم (سوق المدينة)، ومسجد بني أمية في حلب، وقلعة الحصن، وقلعة حمص القديمة، وأديرة معلولا، والمسجد العمري في درعا، والمواقع الأثرية التي نجت من القصف تعرضت لنهب ممنهج..

سورية ومنظمات المساعدة الدولية

في الشهر الأول ٢٠١٤ كان عدد المنظمات التي تدور حول سوريا في دول الجوار تركيا ولبنان والأردن والعراق ٤٥٠ منظمة. قليلٌ منها له مشاريع في الداخل، كما أنّ فعاليتها قليلة على الرغم من كثرتها ومنْ ميزانياتها الكبيرة.

5

أكذوبة الوطن العربي الأكبر

سنوات قليلة ماضية، وقف المطربون جنباً إلى جنب يمثلون أوطانهم العربية، تصدح أصواتهم للحلم العربي وللوطن العربي الأكبر. الفضائيات تعيد وتكرر الأوبريت ...

5

في أبعاد هجرة ولجوء السوريين

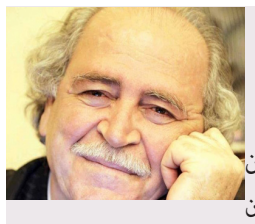

ليس من باب الصدفة، أن يصل عدد اللاجئين السوريين في بلدان الجوار إلى نحو خمسة ملايين نسمة، وكذلك الأمر بالنسبة لأعداد اللاجئين السوريين في الدول الأوربية، والمقدر عددهم بأكثر من مائة ألف شخص...

6

داعش هل سقطت من السماء؟

للدول والشعوب جميعها أو بمعظمها مراهقة أو اندفاعة شباب تكون فيها ممتلئة بالرغبة في فعل استثنائي، ربما في قفزة حضارية، وربما في قفزة فكرية لصنع فلسفة تغير رؤية العالم لليوم وللغد..

7

أبو كزلك كعب الفنجان

أنا موجوع. يدي تُشوى الآن فوق ماسورة الرشاش. لا أستطيع سلخها عنه، لا أعرف لماذا تسخن هذه الماسورة مثل قسطل المدخنة على سطح بيتنا هناك في ضيعتي "أم الزيتون"...

10

عوالمنا وعوالم الغرب

في زيارة لي إلى روما، بمناسبة تدشين النسخة الإيطالية من روايتي صائد اليرقات، التقيت بكثيرين من متابعي الثقافات المختلفة، بما فيها الثقافة العربية، منهم كاتب إيطالي من جيل الشباب، كان قد نشر روايتين من قبل رسختاه كاتباً معروفاً في بلاده

12

أنماط الرواية السياسية

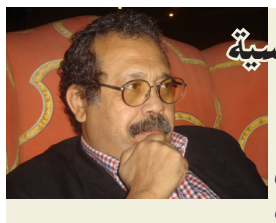

يُفهم الأدب السياسي في الغرب، على أنه ذلك الأدب الذي يتخذ من جدلية العلاقة بين الحاكم والمحكوم موضوعاً له، مع التأكيد على أن هذه العلاقة تتجلى في موضوعات شتى، تشتبك بالواقع السياسي..

من الشرق إلى الغرب

بالطبع يمكن فهم لماذا انتابنا الغضب لشنق صدام حسين صبيحة يوم عيد الأضحى، والذين انتابهم الغضب ـ وأنا منهم ـ ربما لم يفهموا أو يستسيغوا لماذا كان بعض العراقيين سعداء، بل ويحتفلون بهذه النهاية...

14

آثار سورية في مهب الريح..؟!

الرقة أنموذجاً

قُدر للشعب السوري أن يدفع الثمن غالياً لقاء خروجه طلباً لحريته وكرامته في ثورته المباركة، فدفع الغالي والنفيس، مئات الآلاف من الشهداء، ومثلهم من المعتقلين والمغيبين في سجون النظام الأسدي، ومئات آلاف الجرحى والمعوقين، وأكثر من عشرة ملايين مهجرين من ديارهم قهراً وقسراً بين نزوح داخلي ولجوء في دول الجوار، وتدمير نصف سوريا، شمل المباني، والمساكن المدنية، والبنى التحتية في المدن والأرياف، والمشافي والمعامل والمدارس والجوامع والكنائس، والمواقع الأثرية والمتاحف والقلاع، جاء كل ذلك تحت شعار «الأسد أو نحرق البلد».

الآثار شرف وضمير وهوية الأمة..

بقدر ما كان الثمن باهظاً وغالياً بالنسبة لحياة الناس، كان الثمن عزيزاً على سورية بالنسبة للمواقع واللقى الأثرية والمتاحف، فقد تعرضت مواقع عدة لقصف الطيران والمدافع والصواريخ أتت على معظم القلاع الأثرية، والجوامع والكنائس القديمة في درعا وحمص ودير الزور والرقة وحلب ودمشق، وكان أبرزها السوق القديم (سوق المدينة)، ومسجد بني أمية في حلب، وقلعة الحصن، وقلعة حمص القديمة، وأديرة معلولا، والمسجد العمري في درعا، والمواقع الأثرية التي نجت من القصف تعرضت لنهب ممنهج، كما تعرضت بعض التلال والمواقع الأثرية داخل وخارج المدن للحفر والتجريف بواسطة الآليات الثقيلة من قبل لصوص الآثار بحثاً عما تكتنزه الأرض من لقى أثرية، وهذا شمل المواقع التي يسيطر عليها النظام، والمواقع التي تخضع لسيطرة قوات المعارضة، وأبرزها نهب محتويات مستودعات ومتاحف الرقة ودير الزور وماري ودورا أوربوس وهرقلة وتوتول والرحبة وقرقيسيا وجعبر وزالبا.

أمام هذا التدمير الممنهج، والسرقة والنهب والحفر والتنقيب العشوائي، ما هو دور النظام في تدمير هذه المواقع ونهب وسرقة تاريخ البلد؟ وما هي أدوار قوات المعارضة في الحفاظ على آثار سوريا في المواقع الخاضعة لسيطرتها؟ وما هي التسهيلات التي قُدمت لتجار الآثار في نقل القطع واللقى الأثرية إلى الخارج وبيعها في أسواق لبنان وتركيا وغيرها من الدول؟ ومن يتاجر بآثار سوريا ويريد طمس هويتها وإرثها الحضاري؟ وما هو موقف منظمة اليونسكو في الحفاظ على آثار سوريا؟ وأخيراً ما هو موقف قوى المعارضة السورية الممثلة بالائتلاف الوطني والحكومة السورية المؤقتة؟ وهل تداعى أحد لوقف هذا التدمير الممنهج والسرقة التي تجري جهاراً نهاراً إن كان بالتنديد أو الشجب أو تحريك اليونسكو والشرطة الدولية للقبض على لصوص وتجار الآثار ومحاسبتهم وإعادة المسروقات؟

بوابة تهريب الآثار.. من الرقة إلى تركيا

سنأتي على كل هذه الأسئلة من خلال تحقيقنا ومتابعتنا لموضوع آثار سوريا، وسيتم التركيز أكثر حول آثار محافظة الرقة، كونها المحافظة الأولى التي جرى تحريرها من قبضة النظام، وخروجها تماماً عن سيطرته، إضافة لكونها أحد أهم الممرات الآمنة باتجاه تركيا.

في بداية شهر آذار من العام ٢٠١٣ خرجت الرقة عن سيطرة النظام، وخضعت لسيطرة قوى المعارضة المسلحة، المتمثلة بالألوية والكتائب الأكثر قوة وهي حركة أحرار الشام وجبهة النصرة ولواء ثوار الرقة وأحفاد الرسول وأمناء الرقة، وتوزعت هذه الألوية المواقع الرسمية التي كان من ضمنها متحف الرقة الأثري، والمصرف المركزي الذي كان يتضمن إضافة للمال وودائع القطع الأجنبي ثلاثة صناديق تحوي نحو ٥٥٠ قطعة أثرية هي من أندر القطع واللقى الأثرية التي تم اكتشافها في محافظة الرقة، وكان هذا المصرف من نصيب حركة أحرار الشام التي تصرفت بكل هذه المحتويات دون حسيب أو رقيب.

في بداية التحرير كان إلحاح الناشطين والحراك المدني في السؤال عن مصير أموال الرقة وآثارها كبيراً، وكان الجواب واضحاً وصريحاً، كلها في أيادٍ أمينة، ولا داعي للقلق، لكن هذا الصوت والإلحاف بالسؤال بدأ يخفت شيئاً فشيئاً أمام قوة السلاح، وعمليات الاغتيال والاعتقال والخطف المتكررة، وبدأنا نسمع عن قصص عدة لتهريب الآثار إلى الخارج، ونشاط لحركة بيع القطع واللقى الأثرية في المدن التركية خاصة، وفي أسواق لبنان وغيرها من دول الجوار، وأغلب القائمين على عمليات البيع هم من حملة السلاح ممن انضووا تحت لواء الجيش الحر، والألوية الإسلامية

الأخرى.

إلى أن دانت عموم محافظة الرقة لسيطرة الدولة الإسلامية الكاملة، والتي لا تعطي بالاً لمثل هذه المواضيع، وتجيز كما القوى الإسلامية الأخرى المتاجرة باللقى الأثرية، والبحث والتنقيب في المواقع المختلفة والمنتشرة في كل مكان، حيث لا تدخل أعمال المتاجرة والحفر في باب التحريم مطلقاً. لذلك نشطت هذه الأعمال جهاراً نهاراً.

أما بالنسبة للنظام فقد قام بقصف المدن بالطائرات والدبابات والمدافع والصواريخ، ولم يستثنِ لا البشر ولا الحجر ولا النبات والشجر، وأخذ في طريقه الآثار والتلال والقلاع والحصون، واغتال ذاكرة المكان، وطمس كل شيء للحفاظ على ملك زائل، وشارك تجار الآثار مجموعة من المتنفذين والضباط الذين سهلوا عمليات تهريب آثار سوريا وبيعها في الخارج.

في مدينة شانلي أورفا التركية، تركزت معظم عمليات بيع القطع الأثرية المنهوبة من محافظات حلب والرقة ودير الزور والحسكة، ومنذ نحو خمسة أشهر بدأنا نسمع عن بيع رقيمات مسمارية، ودمى، وأختام، وقطع خزفية، ومسكوكات ذهبية، وحلي ومجوهرات ذهبية وفضية، ومخطوطات نادرة للإنجيل المقدس والتوراة، ولوحات ذهبية، وأيقونات تعود لأزمان موغلة في القدم.

حصلنا في بداية الأمر على صور فوتوغرافية عدة لقطع نادرة، فتوجهنا بداية إلى السيد هادي البحره رئيس الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية عبر الانترنت، وعلى صفحته الخاصة، ونقلنا إليه همومنا وهواجسنا في هذا الحوار على الخاص وننقله بتفاصيله كما حدث:

في تمام الساعة الخامسة وأربع دقائق من صباح يوم ٢٠١٤/٧/٣١، بعثت بالرسالة التالية إلى السيد هادي البحرة عبر صفحته التي أكد لي في حوار سابق أنها صفحته الوحيدة والتي يديرها ويشرف عليها بنفسه، متضمنة عدداً من الصور لقطع أثرية مختلفة:

الأستاذ هادي..

تحية.. هذه صور لقطع أثرية سورية تباع الآن في سوق الآثار في مدينة شانلي أورفا التركية.. القطع من المحتمل أنها مسروقة من محافظة دير الزور وتحديداً من ماري، أرجو أخذ العلم.. أنا بدوري سألتقي بمدير آثار محافظة الرقة الأسبق الموجود حالياً في أورفا لتحديد مصدر الآثار، وإلى أي زمن تعود وسأعمل بدوري على توثيقها.. ولك الشكر.

وبعد أربع دقائق، جاءني الجواب مقتضباً وقاطعاً:

بمجرد مشاهدة الصور أقول إنها قطع مزورة وليست أثرية، هي حالياً منتشرة بتركيا.

وبعدها أرسلت رسائل متتابعة لم أتلقَ أي رد عليها، وكانت في أغلبها محاول لدفع السيد البحرة إلى الاهتمام بالموضوع أكثر.

الرسالة الأولى: الإنجيل المعروض وصل سعره إلى أكثر من ٦٠٠ ألف دولار، وعلى كل حال موجود في أورفا م.غ وهو كان يشغل منصب مدير الآثار في الرقة، وسأعرض عليه الصور للتأكد فيما إذا كانت مزورة أم صحيحة.

الثانية: أستاذ هادي.. أنا اشتغلت مادة حول آثار الرقة إبان تحريرها، حيث تم السطو على ثلاثة صناديق مودعة في البنك المركزي، وتحتوي على نحو ٥٥٠ قطعة أثرية وهي من القطع النادرة من آثار الرقة. طبعاً تم السطو على كامل محتويات البنك المركزي من أموال وقطع أجنبي وودائع أخرى.

الثالثة: لدي صور لعدد أكبر من القطع الأثرية، وأنا آسف لإزعاجك، لم أكن أتصور أنك مستيقظ في هذا الوقت، وأحييك على اهتمامك ويقظتك في هذا الوقت، وهذا يبعث الطمأنينة في قلبي، وأعتقد أننا مازلنا بخير. لكن لم يأتِ أي رد مطلقاً، ولم أعاود الاتصال بالبحرة مرة أخرى، بعد أن قطع علي بإجابته الأولى كل الطرق والسبل، وقدّرت أن إجابته فيها إحالة لثلاثة احتمالات، الاحتمال الأول أنه خبير بالآثار، والثاني أنه شريك تجار الآثار، والثالث اللامبالاة، وأنا بتقديري أرجح احتمال اللامبالاة وعدم الاكتراث، فالرجل لا يريد أن يشغل باله في التاريخ والآثار، وشغله الشاغل الإنسان قبل أي شيء آخر، ومآلات ومسارات الثورة تؤكد أنه وسابقيه لم ينجحوا لا في الحفاظ على حقوق الناس وحياتهم، فكيف نريد منهم أن يحافظوا على تاريخ وآثار البلد؟!!. وكان الأجدى أن يستنفر طاقات مستشاريه ومساعديه وتكليف مختصين بمتابعة هذا الشأن المتعلق بتاريخ وهوية سوريا، لكن بظني أن شيئاً من هذا لم يحدث.

آثار الرقة في السوق السوداء العالمية

وفي نفس التاريخ أرسلت رسالة تتضمن الصور إلى الآثاري أ.ف رئيس شعبة التنقيبات في دائرة آثار الرقة، ومديرها لاحقاً:

أستاذ أ.... هذه صور لقطع أثرية ومخطوطات تباع الآن في تركيا، إذا في إمكانية تقدير مدى أثريتها وعائديتها إلى أي متحف، وإلى أي زمن تعود، وهل نستطيع من خلال الصورة تحديد إن كانت مزيفة؟ وبتقديرك أين استطاع الذين سرقوا آثار الرقة بيعها؟ وكيف نستطيع إعادة القطع الأثرية المنهوبة إلى سوريا؟.. وأشكرك جزيل الشكر.

وجاءني الرد سريعاً:

أهلاً أستاذ.. أول شيء شكراً على غيرتك على آثار الرقة، لأنني ظننت أن أهل الرقة نسوها.. على كل أستاذ..

١- آثار الرقة أغلبها زجاج وخزف عباسي ورقيمات مسمارية.

٢- النقود ذهبية حقيقية على الأغلب من فترة جوستنيان.

٣- الإنجيل ظهر كثير منه بمنطقة تل مركدة في الحسكة، ويبدو أنه أصلي.

٣- باقي القطع غير أصلية لسوء تصنيعها.

٤- إذا بيَّن معك أي شي خزف أو زجاج شفاف أو تماثيل طينية وليست حجرية فهي حتماً من الرقة، ويا ريت تعلمنا من أجل أن نعمل على مراسلة الشرطة الدولية لإعادتها إلى مكانها في المتحف..

بالمجمل ممكن أن تكون هذه القطع نتيجة أعمال تنقيب غير مشروعة بالتلال الأثرية وشكراً لك مرة ثانية.

وفي رسالة ثانية، طلبت منه كيفية رفع طلب إلى الشرطة الدولية، وما هي الجهة التي نقلت مقتنيات متحف الرقة إلى مدينة الطبقة؟

- ما هي الطريقة لرفع طلب إلى الشرطة الدولية لحماية الآثار؟.. نحن هنا في تركيا نريد رفع طلب بهذا الخصوص.

فرد عليّ:

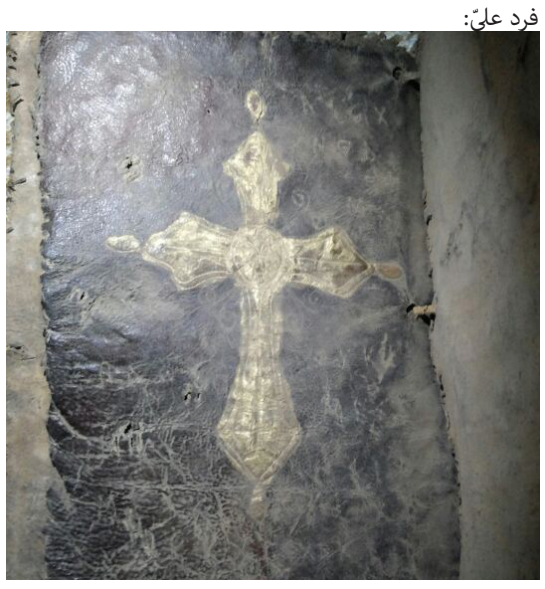

أستاذ والله نحن عن طريق اليونسكو، وما كثير يردون أولاد... يريدوا أن يسرقون ويبيعون.

أما بالنسبة لمقتنيات متحف الرقة، فقد نقلته إحدى الكتائب إلى مدينة الطبقة، بواسطة شخص اسمه «أبو طلال» وقد استشهد فيما بعد بالقرب من مطار الطبقة.

وأرسلت رسالة إلى أمين متحف الرقة للحصول على إجابة دقيقة تؤكد بحثنا وتقصينا في موضوع الآثار.

الأخ... تحية..

١- تحديد عدد القطع الأثرية الموجودة في متحف الرقة، والتي تم نقلها إلى مدينة الطبقة وتفقدتها أنت والأستاذ أ.ف، واسم الكتيبة التي عرضت عليكم القطع.

توصيف القطع التي كانت مودعة في البنك المركزي وعددها.

٢- الصور التي بين يديك (المرسلة مني) إلى أي زمن تعود وعائديتها إلى أي متحف أو مستودع.

٣- كيف نستطيع استرجاع آثارنا من اللصوص والتجار ومهمة منظمة اليونسكو وماذا تفعل؟

٤- مواقع الرقة الأثرية التي نُهبت وغيرها من المواقع التي تم التنقيب فيها بشكل عشوائي. التخريب الذي حصل بالمواقع الأثرية ومدى تأثيره التاريخي.

أي شيء إضافي تحب أن تضيفه.

وتضمن رده الآتي:

أستاذ.. الصور التي تتضمن قطعاً نقدية لا تعود إلى متحف الرقة، أما إن كانت أصلية أو مزيفة فهي لا تعرف عن طريق الصور بل ملامسة باليد، أما بالنسبة للقطع الأثرية المحفوظة في البنك المركزي فعددها /٥٤٧/ قطعة، وهي قطع ذهبية وفضية وحلي، وأختام، ورقيمات مسمارية، وعدد القطع المسروقة من متحف الرقة بحسب الجرد من القطع المسجلة وغير المسجلة فقد تجاوزت /١٢٠٠/ قطعة.

واقع الآثار في الرقة منذ بدء الثورة السورية.

•تعرض متحف قلعة جعبر للسرقة في بداية الأحداث الراهنة التي تعيشها سورية.

• تعرضت مستودعات هرقلة لمحاولة السرقة في بداية تحرير الرقة، لكن بجهود أهالي المنطقة وحراس الموقع وبعض العاملين في دائرة الآثار، الذين اتصلوا بالمسؤولين (الهيئة الشرعية والكتائب الثورية العاملة في الرقة) تم منع التعدي، لكن من آثاره العبث بنتائج تنقيب البعثات الأثرية، وتكسير وتحطيم عدد كبير من القطع الفخارية التي تفيد البحث العلمي.

•تعرضت بعض التلال والمواقع الأثرية داخل وخارج مدينة الرقة للحفر والتجريف بواسطة الآليات الثقيلة من قبل لصوص الآثار، وأبرزها تل زبن على ضفاف البليخ، وعدد من التلال المنتشرة على ضفتي البليخ والفرات، وهذه العمليات تسهم في طمس وتخريب معالم هوية منطقتنا التاريخية والحضارية.

•آخر التعديات حصلت على موقع قصر البنات داخل مدينة الرقة، تم خلالها سرقة محتويات المستودع، وهي عبارة عن عينات لكسر فخارية للدراسة والأبحاث الأثرية، وبعد سرقتها تم إضرام النار بالمستودع، وسرقة الأبواب الحديدية. علماً أن هذا العمل غايته طمس هوية وحضارة هذا المعلم الأثري الهام الذي يعود إلى العصر العباسي.

حوار غير معلن مع أحد تجار الآثار

وخلال عملية تقصي ومتابعة عمليات بيع القطع الأثرية المسروقة، تتبعنا حواراً بين أحد تجار الآثار (ط.ف)، وأحد ناشطي الثورة السورية (أ.ع)، الذي أجرى الاتصال أمامنا واستدرج التاجر في هذا الحوار:

ط.ف – تشتغل بالأنتيكة (الآثار)؟

أ.ع – أي كمسيون (وسيط) لكن في عندك أصلي؟

ط.ف – تجار الآثار الأتراك كذابين، ويقولون (صاغلام) أصلي ولا يشترون.

أ.ع – ماذا عندك؟

ط.ف – عندي ليرات ذهبية (قطع نقدية أثرية).

أ.ع – الحكم المضبوط عند تجار أنقره، أهل الرقة ودير الزور ما خرج يذهبون إلى هناك.

ط.ف – نعم.

أ.ع _ أكثرية التجار في أورفا يشتغلون بالمزيف، انتبه خاف تكون القطع الموجودة عندك مزيفة..

ط.ف – لا «أخوي» أنا عندي أصلي.

أ.ع – ماذا عندك أيضاً؟

ط.ف – عندي كل شيء، تقدر تجيب تاجر إلى الرقة، أم من الضروري نطلع إلى أورفا.. والله قرفنا أورفا وكذب تجارها.

أ.ع – لا ضروري تطلع، وماذا عندك من قطع أخرى؟

ط.ف – عندي لوحات ذهبية.

أ.ع – جديدة أم شغل الأولين؟

ط.ف – أشوريات شغل ماري.

أ.ع – لديك صور لها؟

ط.ف – أخوك العالم تفحص عنده، هذه القطع ليست شغل الرقة، أضف هذا الرقم على الواتس آب، اليوم وصلت القطع إلى أورفا.

أ.ع – البضاعة لك؟

ط.ف – نعم لي وقد أخرجتها إلى تركيا.

أ.ع – عند من هي؟

ط.ف – عند م.ن احكِ معه وقل له أنا من طرف الخال، وخليه يخبرني.

أ.ع - عندك صور اللوحات..

وانتهى الاتصال عندها.. مع التأكيد أن الحوار جرى بالعامية وتم إعادة صياغته كما تقدم.

ما استعرضناه في تحقيقنا هو جزء يسير مما جرى لآثارنا، وهو بدوره لا يشكل شيئاً أمام ما تعرض له السوريون من قتل وتدمير، ونحن إذ نسوق هذه المعلومات التي بين أيدينا نسعى أولاً إلى وضع الحكومة السورية المؤقتة والائتلاف الوطني لقوى المعارضة والثورة أمام مسؤولياتهم، ومخاطبة منظمة اليونسكو للاضطلاع بمسؤولياتها في الحفاظ على الإرث التاريخي والإنساني لسوريا، والعمل على تحريك الشرطة الدولية للقبض على تجار الآثار، وإعادة إرثنا الإنساني والحضاري إلى موطنه الأصلي.

يوسف دعيس

ثورة ما لا يريده السوريون

علي العائد

السوريون، كمجموع، صرخوا صرختهم، فكانت ثورة عبروا فيها عن رفض استمرار واقع يغفل أن الزمن سبقهم، وماضٍ أتى على أحلام جيل ونصف منهم. صرخوا، بحثاً عن مستقبل يعيد للفرد والمجتمع الأمل في تدارك ما يمكن تداركه.

هم يعرفون ذلك، وذهبوا إليه بما يملكون من أدوات، بحناجرهم، وبخوفهم الذي بدأ يتلاشى مع أول صرخة، واستمر حتى مع أول قتيل، وأول ألف قتيل، ومئة ألف، ومئتي ألف قتيل، وأكثر.

الآن ليس في وارد التاريخ، الذي دخل السوريون في صلبه، العودة إلى ما قبل ١٥ آذار ٢٠١١، وليس في وارد السوريين الاستزلام لمانحي المال، والحديث هنا عن السوريين مجهولي الهوية الذين فجروا الثورة.

السوريون ذهبوا إلى الثورة بخوفهم الإنساني، ومازالوا خائفين، لكن ليس من النظام فقط هذه المرة، وليس من المستقبل الذي صار أشد غموضاً بعد سنوات التيه التي أكلت من عمر السوريين ما لا يقدر برقم، أو بنتيجة، مهما بلغ علم قائلها، إنهم خائفون الآن من عودة الماضي الذي ثاروا عليه، وخائفون أن تطول سنوات المطهر الذي ساروا على صراطه أكثر، وخائفون من سوق النخاسة التي خلطت حابل الاستزلام بنابل الشرفاء.

عانى السوريون أكثر ما عانوا من غياب الأفق طيلة حكم «المستأسَدَيْن»، فوقفوا في حالة انتظار في أرتال طويلة، مادياً، عبر أرتال ثمانينيات القرن الماضي للحصول على المواد التموينية، وأرتال أهالي المعتقلين أمام السجون انتظاراً للزيارة، وأرتال أهالي المفقودين أمام فروع الأمن، وفي التسعينيات أرتال العاطلين عن العمل وطالبي الهجرة أمام السفارات.

وفي عهد الأسد الصغير لا تزال أرتال المعارضين الذين لا يعرفون ماذا يريدون تصطف، وتتراصف، كجزء من شعب كبير جداً لا يعرف ماذا يريد من ثورته المستمرة بزخم يتردد صعوداً وهبوطاً.

في الطرف الآخر، نجد أن كتل الموالين للنظام، ومعهم المترددون بين هذا وذاك، لا يعرفون لماذا يؤيدون الأسد، وليس لديهم حجة سوى أن شيطاناً تعرفه خير من شيطان لا تعرفه.

بل إن موقف الدول العربية، والغربية، وإسرائيل من ضمن الأخيرة، هم كذلك لا يعرفون ماذا يريدون من الثورة السورية.

السوريون لا يريدون استمرار حكم الأسد وعائلته، وتحويل سوريا من جمهورية إلى ملكية مطلقة ومستترة، ولا يريدون أن تتحكم قلة من بطانة الأسد في قرارهم السياسي والاقتصادي، ولا يريدون أن تبقى «المؤسسة الأمنية» صاحبة القول الفصل في لقمة عيشهم وحريتهم، غير أن بدائلهم المؤسسية غير واضحة، خاصة أن قمع الأسد للثورة وللناشطين على الأرض، ومن ثم حربه الإعلامية «الناجحة»، جعلت كل هؤلاء في موقع الدفاع عن النفس، وفي موقع رد الفعل الذي جعلهم يرتكبون كماً لا يُقدَّر من الأخطاء، ما أدى إلى ازدياد كتلة المترددين في الإيمان بالثورة التي وقفوا معها في بداياتها، وزاد في الأمر سوءاً ما أنتجته الفصائل الإسلامية من تطرف خدم النظام أكثر مما تمناه النظام، بل وأكثر مما سعى إليه النظام بالأصالة عن نفسه، وبالنيابة عن حلفائه، روسيا، وإيران، والصين.

وهؤلاء أيضاً لا يعرفون ماذا يريدون من الثورة السورية.

الأمر الأكثر صعوبة، هنا، أن ما يريده السوريون لا يمكن ترجمته ببساطة بمعكوس ما لا يريدونه.

وحتى بعد أن قطعت الثورة مسافة تجعل العودة إلى ما قبلها أصعب منالاً، وبعد أن تشكلت هيئات سياسية هدفها تمثيل الثوار والمجتمع المدني والعسكري الممثل للثورة، عانت تلك الهيئات من غياب الفعل، بل ومن غياب الرؤيا المعبرة عما يريده السوريون، وبالتالي غاب الفعل المترجم لتلك الرؤيا الغائبة.

ومن باب تحصيل الحاصل، أيضاً، غياب الكاريزما السياسية خلال ٤٤ شهراً من عمر الثورة. فالكاريزما قد تقنع الناس برؤيا ما، حتى لو أثبت الاختبار خطأها. حتى أضعف الإيمان هنا مفقود.

هذا، خلاف أن قادة هذه المؤسسات لم يُظهروا تماسكاً يقنع المراقب أنها يمكن أن تكون بديلاً يعتمد عليه الناس في محاولة بلورة رؤيا لأهداف الثورة تترجم عملياً، فالكرامة هدف أكيد، ولا تنازل عنه، لكن كيف يمكن ترجمته قانونياً في ظل غياب «السياسة»، و«القانون»، عن سياسات الائتلاف السوري لقوى الثورة والمعارضة، وانتشار روائح التحزب، والاستزلام، والمحسوبيات، والتكسب، والتآمر، والنميمة، والتسريبات، والتصريحات غير المسؤولة.

مازلنا، نحن السوريين، نحلم بما هو أبعد من الكرامة للسوريين وحدهم؛ فالكرامة السورية وافرة الآن بما يكفي المنطقة العربية والمحيط الإقليمي كله، بل والعالم. وبالرغم من كم الأمراض التي أصابت الإنسان السوري، فإن أصغر متسول أو متسولة في شوارع دولة عربية، أو في تركيا، وأكبر غانية سورية في زوايا الليل، هم أوفر كرامة من كل من قال أنا أؤيد الثورة السورية مخاتلاً ولاعباً على حبال الكلام.

أولئك لم يتلوث منهم سوى اللحم الفاني، وكل حرف في قصة مأساتهم مطهر لكل آثام تاريخهم، وتاريخ العرب، ودرس سيرويه كل من يعلم أن التاريخ لا يعود إلى الوراء، وإن تقدم ببطء.

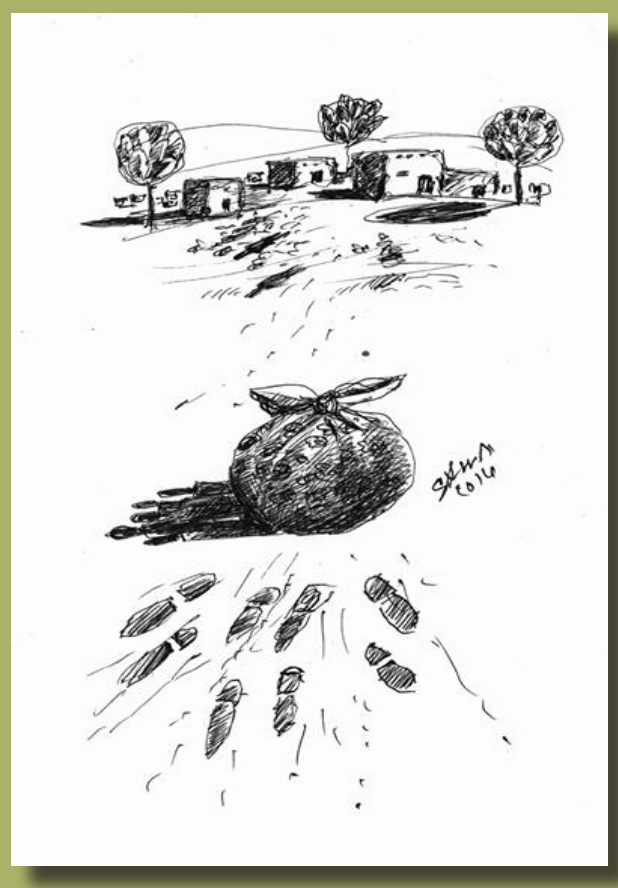

مواقع تنظيم الدولة تحت نيران التحالف

55 ضربة أمريكية في بداية حملة قوات التحالف

إستهدفت الغارات الأولى لدول التحالف مواقع ومراكز ومقرات القيادة والسيطرة لتنظيم الدولة الإسلامية الواقعة في محافظات الرقة والحسكة ودير الزور وعدداً من مواقع جبهة النصرة في ريف إدلب، وبلغ مجموعها نحو 55 ضربة جوية وصواريخ موجهة «توماهوك» من البارجات الأمريكية في البحر الأحمر والخليج العربي.

منها سبع غارات جوية في مدينة الرقة تركزت على مبنى المحافظة وسط المدينة حاجز ومبنى الفروسية غربي المدينة ومعسكر الطلائع جنوباً، ومحيط المشفى الوطني، وخمس غارات جوية استهدفت محيط سد الفرات، وثلاث غارات جوية على مدينة تل ابيض، وثلاث غارات جوية استهدفت اللواء ٩٣ واطرافة في بلدة عين عيسى في الريف الشمالي.

طيران التحالف يقصف الرقة مجدداً

شن طيران التحالف الدولي للمرة الثانية على التوالي غارات على مراكز تنظيم الدولة في مدينة الرقة وريفها بالتزامن مع قصف بعضها بصواريخ توماهوك، حيث تم تسجيل ٣١ نقطة قصف حتى الآن، تركزت على مطار الطبقة ومعسكر الكرين بريف الرقة الغربي، ما أدى لانقطاع الكهرباء عن مدينة الطبقة بالكامل، واشتعال النيران داخل مطار الطبقة.

كما استهدف الطيران الحربي لدول التحالف مبنى البحوث الزراعية، ومعسكر الطلائع، وحاجز المقص على مدخل المدينة الجنوبي، ومقر الفرقة ١٧ شمال المدينة، ومشفى معدان الوطني، إضافة لاستهداف بلدة كسرة عفنان، فيما أفاد ناشطون باستمرار تحليق الطيران في سماء مدينة الرقة وريفها بالكامل، حيث سُمعت أصوات هدير الطائرات في مدينة معدان شرقي الرقة، وتل أبيض شمالاً، ومدينة الطبقة في الريف الغربي. وإلى حينه لم تسجل إصابات بين المدنيين، مع استمرار انقطاع الكهرباء عن بعض أحياء المدينة، ومدينة الطبقة.

وفي حملة جديدة باشر طيران التحالف بالتحليق في سماء مدينة الرقة وريفها، وقد نفذ مايقارب العشر غارات على الريف الجنوبي الشرقي، وشن طيران التحالف عدة غارات على مدينة تل أبيض إستهدفت مدرسة الزراعة التي تعد من أكبر مقرات التنظيم في المدينة، كما تم إستهداف مصافي للنفط أدت لوقوع عدد من الإصابات في صفوف المدنيين، وحسب شهود عيان شوهدت صواريخ توماهوك تعبر بإتجاه مدينة الرقة، ويعتقد أنها سقطت في مدينة تل أبيض وسلوك مع سماع دوي أربعة انفجارات وإشتعال النيران في المدينة.

وفي الرقة تواصلت غارات التحالف على المدينة منذ الساعات الأولى ليوم الأحد ٢٠١٤/٩/٢٨ وتركز القصف في القسم الجنوبي للمدينة حيث تم إستهداف معمل بلاستيك في محيط كسرة فرج، أدت لوقوع شهيد مدني، وإستهداف محيط الأمن الجنائي سابقاً والملعب البلدي وسط المدينة.

كما نفذ طيران التحالف عدد من الغارات الحربية على ريف مدينة الطبقة ومطار الطبقة العسكري.

بيان لواء التحرير

أعلن لواء التحرير عن إنشائه غرفة عمليات مشتركة مع وحدات الحماية الكردية في منطقة رأس العين في ريف الحسكة لمحاربة تنظيم داعش، بالتزامن مع إصداره بياناً لطمأنة المدنيين في مناطق تل أبيض وسلوك والتركمان والقرى التابعة لها، وذلك إثر استهداف دول التحالف لمراكز ومقرات تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا، ويتضمن إصرارهم على متابعة قتال داعش التي احتلت محافظة الرقة بالكامل، وجعلت منها قاعدة للتطرف والإرهاب، وتسهيل عودة أهلنا المهجرين إلى مواطن سكنهم آمنين.

ويتعهد لواء التحرير في بيانه ضمان حياة المدنيين من أهالي تل أبيض وسلوك والتركمان والقرى التابعة لها، وعدم التعدي على أي مدني، وسيتعرض المعتدي إلى العقوبة الميدانية مهما علت مكانته، ومن أي تشكيل كان.

وأهاب البيان بالمدنيين الابتعاد عن مقرات داعش، والتزامهم في المناطق الآمنة، مطالباً العناصر الذين تم التغرير بهم من أبناء المنطقة رمي سلاحهم أو التزام بيوتهم وعدم المشاركة في القتال، وضمان تأمين حياتهم وحمايتهم، وتسوية أوضاع المقاتلين في صفوف داعش سابقاً بعدالة ورحمة.

كما طلب المساعدة من الأهالي بمكوناتهم كافة في تولي الأمور في مناطقهم وتعزيز أمنها وسلامتها، وضمان انتقال المسؤولية إلى جهاز مدني يتم اختياره بإرادة حرة من أهالي المنطقة.

يوميات لاجئ سوري

للطفولة أحلام ضائعة

عروة المهاوش

في الغربة، لم يكن رغيف الخبز سبباً للرذيلة كما يدعي أصحابها، إنما كانت أخلاقهم التي يفتقدون لأدنى مستوياتها هي السبب، هنا نجد كل الحقيقة رغم محاولات البعض في تحسين صورتهم أمام الناس بينما في الطرف الآخر هناك عائلات نضعها تيجاناً للشرف والعزّة ونفتخر بسوريتها.

إبراهيم ذو السنوات العشر التقيته في أحد الشوارع القريبة من منطقة سكني، يحمل بيده صندوقاً بلاستيكياً يحتوي على عدد من ربطات الخبز السوري, كانت درجة الحرارة تتجاوز الخمسين، اشتريت منه رغم أني لست بحاجة للخبز. بادرني بالسؤال بلهجته الرقية: «عمو وين بيتك»، لم أكد أشير له بيدي حتى أردف قائلاً: عرفت البيت عمو، فقد أخبرني البقال أن هذا البيت يسكنه سوريون، واتفقنا على أن يحضر لي ربطتين يومياً. في اليوم التالي وبعد الظهر طرق الباب وكان إبراهيم ذاته، أخذت منه الخبز وطلب ماءً بارداً، أعطيته ما طلب بعبوة بلاستيكية أيضاً، حاولت إعطاءه ما يزيد عن ثمن ربطات الخبز لكنه رفض، كما رفض استكمال الحديث معي لمشغوليته في العمل، لكنه وعدني في وقت لاحق. كنت أجمع منه ما أريد عن طريق السؤال يومياً عن أحواله وأحوال أسرته، كان يجيبني بسرعة وبصراحة وصدق لمسته منه بحديثي الأول معه، كان خجلاً من بناتي المتواجدات معنا، أشرت لهن أن دعونا وحدنا. هو الولد السابع من حيث ترتيب عائلته المؤلفة من أربعة ذكور أكبر منه بينهم أخوه علي المصاب بقصف طائرات النظام على المدينة. أخواه الاثنان يعملان أيضاً أحدهما في مطعم والآخر في بسطة متنقلة لبيع الخبز السوري أيضا، ما أذهلني في هذا الطفل فعلاً عزّة النفس والترفع عن مد اليد لكل الجهات، يعملون ويأكلون من عرق الجبين، على عكس الكثير من العائلات التي تقف على أبواب المنظمات الإغاثية. دعوت له وشكرته ولم أجرؤ على ابداء أي مساعدة مادية له خجلاً من عرق جبينه. سلوى كقمر في ليلة بدر، شقراء وكل طفولة الدنيا تكمن في عينيها، لم تتجاوز السادسة من العمر بعد، تضع ميزاناً أمام ساحة المدفع أحياناً. حاول ابني إعطاءها عدداً من الليرات فرفضت، سألها مستطرداً بكم أستطيع وزن نفسي فأردفت «ببلاش» إي «ببلاش» أنا ما آخذ من السوريين لأنهم متلنا. هي من مدينة حمص وأخوها ليس ببعيد عنها ويبيع بعض البزر والبسكويت والبطاطا ضمن أكياس صغيرة، هؤلاء هم من يمثلون الشعب السوري الذي صرخ يوماً «الموت ولا المذلة».

في الطرف المقابل أ.س وأخوها ع.س من عائلة حمصية أيضاً، تبلغ من العمر ٢٤عاماً، وأخوها يزيد عنها سنتان، تعرفت عليهما في سوق الخضار، لم يطل الأمر كثيراً حتى اكتشفت أنهما لا يصرفان قرشاً واحداً على معيشتهما، فلديهما علاقات كثيرة ومعارف أكثر، وكل أمورهما بخير من وجهة نظرهم، حاولوا جاهدين أن يكون هناك زيارات عائلية للتعارف قابلتها بالرفض هم يبحثون الآن عن غيري ليوقعوه في فخ الرذيلة. محمد ابن مدينة «الرقة» غادرها بعد قصف منزل ذويه الكائن خلف مبنى الأمن السياسي، من قبل الطيران الأسدي بالرغم من صغر سنه إلا أنه اختار أن يكون مسؤولاً عن عائلة كبيرة، مرض والده المزمن وأمه الخادمة في البيوت وإخوة صغار. كانت الوجهة تركيا ولم تكن، حينها، حركات النزوح مثلما الآن، دعوات أمه وأبيه ونظرة الوداع الأخيرة من أخته الصغيرة نسرين كانت زوادته في اغترابه المبكر، خمسة عشر عاماً قضاها محمد بين فشل الدراسة وأكثر من مهنة حاول العمل فيها، لسّد بعض رمق الحياة. كنت أزور عائلته بين الحين والآخر في بيتهم الذي لم يبقَ منه سوى غرفة واحدة تضم بين جدرانها كتلاً من الهياكل تنتظر ما سوف يرسله إليهم من نقود بعد أن وفق في عمل ضمن مزرعة، حسب ما أخبر ذويه ذات اتصال، توالت الشهور وانقطعت أخباره، وكذلك بضع آلاف الليرات التي كان يرسلها إلى ذويه. لم يطل بحثي عنه طويلاً فمدينة كأورفا لا يخفى فيها أخبار الرقّيين، التقيته في مقام النبي أيوب بناءً على رغبته، جاء مع ثُلة من أصحابه، عرفت منهم اثنين، والثالث تعرفت عليه من خلالهم، انتابتني الشكوك، والخوف من أصدقائه السوريين فما أعلمه عنهم، تعاطي الحشيش والسكر والحبوب المخدرة، دعوت الله أن لا يكون متورطاً رغم أني شعرت بذاك التورط، من خلال حديثي معهم، كان لنا حديث جانبي وحدنا اتفقنا على لقاء منفرد في المساء بوسط البلد. كان انتظاري طويلاً، لم يأتِ، ورقم الهاتف الذي أعطاني إياه مغلق، لم يزودني بعنوان له أو لمن معه، فهم ينامون في بيوت الآخرين وفي الحدائق بحسب ما أخبروني. غابت شموس وأشرقت شموس، تخللتها محاولات مني بمعرفة مكانه أو الاتصال به، رسائل ذويه كانت تقتلني ورسائلي كانت صريحة لهم مثلما رأيت، لم أخفِ عنهم شيئاً. وأعلم جيداً شعورهم وهم يسمعون مني أخبار طفلهم، لكنها الحقيقة المرة التي لا يجب إخفاءها رغم قسوتها، إقناعه بالعودة كانت تلك الجملة الوحيدة الأكثر في رسائلهم، لكن محمد كان يعمل بعض الأيام ليؤمن ثمن بعض الحبوب المخدرة أو القليل من الحشيش، ويعيش عالم الأحلام كما يعتقد، لم يسمع كل نصائحي بالابتعاد عن زملاء السوء، أمنت له عملاً كحارس دائم لبناءٍ قيد الإنشاء، أخبرني المتعهد بعد أيام أنه طرده دون إعطائه الأجر، لأنه وجده ليلاً مع أصدقاء له يتعاطون ويشربون الخمر، اعتذرت من المتعهد ومن الصديق الذي أوصلني إليه. شعوري أني خذلت صديقي كان كافياً لجعلي آخذ على نفسي عهداً بعدم التورط مرة ثانية. ذات صباح جاءني اتصال من صديق يفيد بأن عائلات سورية تقيم في كراج البولمان منذ عدة أيام، استطعت تأمين إقامة لعائلة حيث تبرع أحد أبناء الرقة بإيوائهم فترة من الزمن. في اللحظة الأولى حاولت تكذيب عينيّ فهذا أبو محمد وتلك أمه وإخوته، أيام تعد على الأصابع ومحمد ابنهم زارهم مرة واحدة واستفاقوا من جديد على غيابه، عادت العائلة إلى الرقة محملة بأوجاع كثيرة، واختفى محمد في أزقة مدينة كبيرة لكنه لا يزال يحلم أحلامه الخاصة. هذه نماذج لبعض السوريين في أماكن اللجوء، فيهم من اختار أن يأكل من عرق جبينه، أو من امتهن رخيص المهن، بدءاً بتجارة الجسد والمخدرات تعاطياً وبيعاً، في ظل غياب شبه كامل لمؤسسات الثورة، المتمثل بالائتلاف ككيان سياسي، والحكومة السورية المؤقتة كراعية لشؤون السوريين في الداخل المحرر أو في أماكن اللجوء.

أكذوبة الوطن العربي الأكبر

* انتصار عبد المنعم

سنوات قليلة ماضية، وقف المطربون جنباً إلى جنب يمثلون أوطانهم العربية، تصدح أصواتهم للحلم العربي وللوطن العربي الأكبر. الفضائيات تعيد وتكرر الأوبريت الذي مع كل كلمة فيه وكل نغمة، تمتلئ القلوب محبة للشقيق العربي الذي أبعدته الحدود الجغرافية ولكن مكانه قريب من القلب كما ينشد المطربون.

وفي الربيع العربي، يتحول الحلم العربي إلى كابوس يأبى أن ينتهي، ويظهر بعض المطربين حاملين السلاح في ساحة المعركة، أو شاهرين أسلحة التخوين ضد شعوبهم وشعوب الدول التي تغنوا لها من قبل، ومهاجمين بعضهم بعضاً وفقاً للجانب الذي انحازوا له. ويعلو ضجيج الحرب على موسيقى الحلم العربي، ويغيب صوت العقل. وعلى نفس الشاشات التي تغنت بأمجاد العرب، تظهر غربان الفُرقة من الإعلاميين تشيع أن اللاجئين يناصرون طرفاً دون طرف، وتتفرق السبل باللاجئ السوري الذي فرَّ من القتال المجنون، ولجأ إلى بلد عربي، وقد ظن أنه سيفتح له ذراعيه مثلما قال المطربون في الحلم العربي.

ظن اللاجئ السوري أن الوطن الأكبر حقيقة على الأرض، وما عليه إلا أن يدخل من أي باب شاء بعد أن سُدت كل أبواب الرحمة في وجهه في بلده، وهو يتلقى الموت على دفعات ووفقاً لكل المذاهب، يتنزل عليه من السماء في برميلات، أو على يد قاتل بخل عليه برصاصة الرحمة ليذبحه بسكين كما الأنعام دون أن يطرف للقاتل جفن، أو تأخذه الرحمة بمخلوق شاركه إرث الإنسانية ونفس الوطن أزمنة بعيدة قبل أن تحط جنود الموت من الشرق والغرب في سوريا تعيث بها الفساد متسترة بأكذوبة الجهاد وأنها تنتمي إلى الإسلام وهو منها براء.

يتفاجأ اللاجئون إلى البلدان العربية، بأن الوطن الأكبر كان أكذوبة كبيرة من المحيط إلى الخليج، وأن الشعوب العربية لا تملك من أمرها شيئا، فحكامها يتعاملون معها وفقاً لما تمليه عليهم المصلحة الدولية أو مصلحتهم الشخصية. ولم تكن النكبة في الحكومات فقط، بل في الشعوب التي ساقها حكامها بسيف الخوف على حياتها مخوفين من الإرهاب الذي يتربص بهم ليل نهار.. ولكن أي إرهاب يمثله لاجئ لا يملك سوى روحه يحملها على كفه أينما ذهب؟

مصر، وطني الذي لا أتمنى سواه وطناً، لم تعد أم الدنيا، وكيف تكون كذلك وقد تخلت عن بعض أبنائها، بعد أن أصبحوا لاجئين؟ منذ فترة ليست بالبعيدة أصبح تواجد السوريين في كل مكان في مصر أمراً طبيعياً، نتعامل معهم بحق الأخوة، لا بحق الضيافة، وهم يتعايشون مع الشعب المصري، ويعملون في مطاعم تقدم الأكلات الشامية، أو من خلال محلات بيع الملابس والمنتجات السورية وغيرها.. ولكن ماذا يفعل من فرَّ تاركاً خلفه كل شيء وجاء بلا مال أو أوراق رسمية، متنقلاً من دولة إلى دولة ومن خيمة لاجئين إلى أخرى؟ بالتأكيد أنه سيظل مطارداً من قوات الأمن والهجرة والجوازات، سيشعر أنه مطارد حتى من ظله الذي يتبعه حتى الممات، ومن يسعده الحظ، ستدركه مفوضية شؤون اللاجئين بعد أن يكون أمضى أسابيع في سجون الوطن العربي الأكبر مع أطفاله ونساء عائلته..

في وطننا العربي وحده، حتى في الظلم والشتات لا يوجد عدل، وحدهم من يملكون المال في أي عصر وتحت أي ظرف لهم حق الحياة.. أما من لا يملك المال، فعليه أن يحاول الفرار إلى أي بلد أوروبي لعله يعيش هناك يوماً يشعره بأنه على قيد الإنسانية وعلى قيد الكرامة.. وهكذا كل يوم يُبحر قارب في قلب الليل، منطلقاً من الإسكندرية ومن تونس، ومن غيرهما، على أمل الوصول إلى إيطاليا، ولكن لا أحد يصل إلى شاطئ إيطاليا، بل أكثرهم يصلون إلى الشاطئ الآخر على الجانب البعيد من الكون، ومن ينجو من الغرق، يدرك متأخراً أنه وقع ضحية عملية نصب كبرى من الأشقاء العرب في الوطن العربي الأكبر...

* روائية مصرية

لا أعرف جيش لبنان إلا في...؟!

ياسين عبد اللطيف

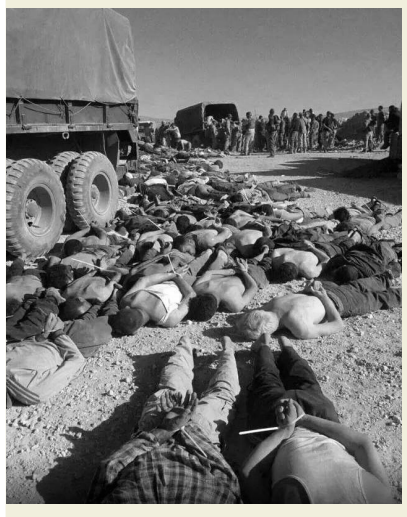

- لا أعرف أحداً من جيش لبنان إلاّ الرائد: سعد حداد، والجنرال أنطوان لحد وارتباطهما بالشريط الحدودي مع دولة إسرائيل!

لا أعرف إلاّ العماد ميشيل عون الذي كان رئيساً لحكومة لبنان وقائداً لجيش لبنان الذي هرب بذل كالأرنب والتجأ إلى السفارة الفرنسية وترك جنوده يُقتلون على يد جيش الاحتلال السوري في عهد حافظ والد حليفه الحالي بشار الأسد!

- لا أعرف من جيش لبنان إلاّ الضباط الأربعة الذين اتهموا باغتيال رفيق الحريري وتآمروا على لبنان!

- لا أعرف من جيش لبنان إلا تضييف الشاي لضباط جيش العدو الصهيوني على أرض لبنان بيد ضباطه وجنوده إبان عدوان (٢٠٠٦) على لبنان!

-ولا أعرف من جيش لبنان إلاّ العميد فايز كرم وعمالته لإسرائيل، ثم إخراجه من السجن كبطل لأنه خان شعار الجيش اللبناني: شرف. تضحية. وفاء!

- لا شرف ولا وطنية ولا كرامة لجيش «الزعران» الذي يعتدي على اللاجئين بفجور وإجرام بدواعٍ طائفية وعنصرية بغيضة !

تل أبيض في خط النار..!

محمد لطفي

مدينة صغيرة كانت -مثلها مثل باقي مدن الشمال السوري- تعيش بهدوء وتجانس بين الكورد والعرب قلّ مثيله.

تل أبيض اشتُهِرَت بأمطارها الوافرة لوقوعها على خط العرض العاشر.

اليوم، يكتشف أوباما خطوطاً جديدةً تمرّ بتل أبيض، أسماها خطوطَ إمدادات د ا ع ش!

يقرر أوباما قطع هذه الخطوط، فيقصف تل أبيض... ويتساقط الأبرياء اليوم بغزاره..

فيما يبقى الخط العاشر موصولاً برحمة السّماء وبارئها، فيتساقط المطر عليها اليوم أيضاً، سيولاً، تغسل دماء الشهداء..

ولكن، يبقى دَنَسُ الغَطرسة الامبرياليّة، وجيفةُ النذالة العربية يلطّخان تربة أودية الجلّاب وقراموخ والبليخ.

تل أبيض، خطوطٌ تُقطَع، ويبقى خطّ الله موصولاً بالدراويش رغم أنف الجميع.

الدرملي

سورية ومنظمات المساعدة الدولية

محمد الحاج صالح

في الشهر الأول ٢٠١٤ كان عدد المنظمات التي تدور حول سوريا في دول الجوار تركيا ولبنان والأردن والعراق ٤٥٠ منظمة. قليلٌ منها له مشاريع في الداخل، كما أنّ فعاليتها قليلة على الرغم من كثرتها ومنْ ميزانياتها الكبيرة.

تكمنُ أسباب نقص الفاعلية وفوضى وصول المساعدة لمستحقيها في عوامل عديدة:

- سورياً ونتيجةً للعمر المديد لنظام الطغيان يمكننا القول إنه لا توجد منظمات سورية مؤهلة لأن تكون شريكة للمنظمات العالمية. الجميع يعلمون أن لا تراخيص لمنظمات وجمعيات سورية منذ عقود. والموجود منها إسلامي الطابع أو أهليّةُ وبالتالي هي غير مؤهلة لأن تكون شريكاً.

- إحدى المشاكل العويصة تقع في عدم وجود حسابات بنكية دولية أو محلية لمنظمات سورية محترمة وفاعلة. حتى كيان سياسي كبير كالمجلس الوطني احتاج أمر تدبير حساب له أشهراً طويلة.

- اضطرت المنظمات وبسبب هذا الوضع لأن تعتمد على شركاء أشخاص أو على منظمات تأسست على عجل، الأمر الذي يفتح المجال للفساد. إذْ أن الأشخاص الذين استطاعوا وتدبروا أمر التعامل مع المنظمات اعتمدوا في الغالب الأعم على شبكاتهم الخاصة. يعني أصدقائهم وأقاربهم ومن يعرفونهم.

- تلجأ المنظمات الدولية وبسبب خطر الفساد الذي وعبر خبرتها ينتشر ويقوى بشكل غير مسبوق في الأوضاع المعقدة مثلما يحدث في سورية؛ إلى بيروقراطية قاتلة. حبّها الأول والأحد أوراقٌ وأوراق وأوراق. إضافة إلى أن للدول خلف هذه المنظمات استراتيجيات وطرائق عمل بعضها لا يتناسب أو لا يعرف كيف يتناسب مع الوضع السوري.

- موظفو هذه المنظمات بيرقراطيون لا يخسرون شيئاً. ينعمون في الفنادق وعيشهم رغد ومهماتهم ومكاسبهم مستمرة. فلم العجلة؟ إذا لم نقل أكثر من هذا.

- أكبر المنظمات الدولية هي الصليب الأحمر وميزانيتها هائلة. ولمن لا يعرف «الصليب الأحمر والهلال الأحمر هما منظمة واحدة. جرى الاتحاد بينهما منذ أكثر من ١٥ سنة». كما أن الصليب والهلال لا يقومان بأنشطتهما دون موافقة حكومة الدولة المعنية والمعترف بها في الأمم المتحدة. ولذلك ٨٠٪ من مساعدات الصليب الأحمر وغيره من المنظمات الكبرى وباعترافها ذهبت إلى مناطق السلطة في سورية. وال ٢٠٪ تقاسمه الفساد وعدم الكفاءة ووصل القليل القليل لمستحقيه.

- في مثل وضعنا تضطر المنظمات الكبرى أكثر الأحيان أن تشرف على مشاريعها مباشرة، ولكنها تضطر أيضاً إلى البحث عن موصلين ومتعهدين ومهندسين. ومعروف هو وضع الفساد لدينا، ومعروف أن بعضنا يفسد حتى الماء الطهور.

- اللغة وحاجزها عامل كبير، جعل من يعرفها ولو كان «فاسداً» أو غير مؤهل شريكاً محتملاً للمنظمات. بينما استبعد من لا يعرف اللغات وبالأخص الانجليزية على الرغم من أنه ربما الأجدر والأعرف بالداخل السوري.

- في الرقة والطبقة وتل أبيض كان الأمل كبيراً في تمويل مشاريع مهمة من قبل منظمات كبيرة، لكن الوضوح المبكر بأن ثمرة «التحرير!» آلت سريعاً إلى أيدي الإسلاميين المتطرفين أحرار الشام والنصرة والدولة، أربك كل شيء ولم ينجز سوى القليل على أهميته، مثل مشفى تل أبيض وحفر أبار الشرب ومخيم قصاص الذي لم يعمل.

- غياب مشروع وطني وفشل تجربة المجالس المحلية العتيدة هما أكبر عائقان تجاه الاستفادة القصوى من المساعدات. والمسؤولون المباشرون عن الفشل هم من أجرموا بحق الثورة وبحق الفقراء والمتضررين، إنهم الباحثون عن الولاءات والمتنازلون عن المشروع الوطني لصالح مشاريع أممية وهمية أو مشاريع محلية ضيقة.

- الطريق الوحيد نحو الاستفادة القصوى من المنظمات الدولية هو التنظيم والترتيب وتراكم الخبرات، أي بناء منظمات سورية مستقرة مضبوطة مالياً وفيها حد جيّد من التفاعل والمراقبة والمحاسبة وديمقراطية القرارات والسلوك.

منظمة بيت الرقة لكل السوريين

هيئة مدنية سورية غير حكومية وغير ربحية تتمتع بشخصية إعتبارية تأسست في مدينة اورفا التركية

تعمل المنظمة على تحقيق الأهداف التالية :

١ – النهوض بالجانب الخدمي وتنظيم آلياته لمحافظة الرقة.

٢ – تفعيل دور الهيئات والمراكز الأهلية المساندة للثورة.

٣ – بناء مؤسسات المجتمع المدني للمساهمة بتطوير العملية الإدارية والتنموية والمعيشية.

٤- العمل على رفع مستوى الأداء السياسي والوطني بين أبناء المحافظة.

٥- إبراز دور المرأة كشريك فاعل ومؤثر في تطوير وتنمية الأسرة والمجتمع.

٦- الحفاظ على المؤسسات العامة والثروات الطبيعية وصون البنية التحتية للبلاد.

٧- العمل على تفعيل دور التعليم التربوي والتوعوي والإشراف على العملية التعليمية والتربوية من خلال تفعيل جانب الدعم النفسي للأطفال في مجالات الفنون البصرية السمعية والأنشطة الرياضية واللغات (العربية – التركية – الإنكليزية).

في أبعاد هجرة ولجوء السوريين

فايز سارة

ليس من باب الصدفة، أن يصل عدد اللاجئين السوريين في بلدان الجوار إلى نحو خمسة ملايين نسمة، وكذلك الأمر بالنسبة لأعداد اللاجئين السوريين في الدول الأوربية، والمقدر عددهم بأكثر من مائة ألف شخص، وهو رقم قياسي في أرقام اللجوء الأوربي، وكلا العددين مجرد مثال على حجم مغادرة السوريين لبلدهم في الثلاث سنوات ونصف الماضية، والتي أحد مؤشراتها وجود نحو ستمائة ألف مقيم سوري في دولة الإمارات العربية وحدها.

انتقال السوريين من بلدهم إلى خارجها هو جزء رئيس من إستراتيجية نظام الأسد في مواجهة ثورة السوريين، وهو يصب في إطار جهده لوأد الثورة وعودة النظام إلى إحكام قبضته على البلاد، وتكريس سلطة الاستبداد والتفرد، بعد إعادة سيطرتها عن طريق القتل والتدمير والتهجير.

ومنذ الأشهر الأولى للثورة، رسم النظام إستراتيجيته في مواجهة الثورة عبر ثلاثة مسارات، الأول هو التصدي المباشر للناشطين والمعارضين عبر القتل والاعتقال والمطاردة بهدف إخراجهم من دائرة الصراع معه، ومنعهم من تطوير وقيادة حركة شعبية في مناطق التظاهر والاحتجاج، والثانية قمع الحواضن الاجتماعية لحركة التظاهر من مدن وأحياء وقرى، ورفع كلفة معارضتها للنظام، ليس في اعتقال وقتل ومطاردة أبنائها، وإنما تحميل عائلاتهم ومحيطهم الاجتماعي مسؤولية ما يقوم به أبناؤهم من نشاطات معارضة، وتجسد قمع الحواضن باعتقالات كيفية وأعمال تخريب وسرقة، ثم تطور إلى تدمير شامل للبيوت والمحال وصولاً إلى تدمير مؤسسات الخدمة العامة قبل ولوج بوابة تدمير كلي لتلك الحواضن على نحو ما حدث في القصير وبابا عمرو وغيرها، مما أدى إلى هجرات داخلية واسعة لسكانها باتجاه مناطق سورية أخرى أقل سخونة، وكان هذا المسار الثالث.

وأدت إستراتيجية النظام في مواجهة الثورة إلى إضعاف الحركة الشعبية وقادتها الميدانيين في وجه النظام، لكنها لم تؤدِ إلى وقفها، الأمر الذي دفع النظام نحو تطوير إستراتيجيته أو استكمالها بمسار رابع، وهو دفع السوريين إلى مغادرة البلاد، وهكذا بدأ خط انتقال ولجوء السوريين للخارج، وهو أمر لم يكن بعيداً عن إجراءات عملية، قام بها النظام مباشرة إضافة إلى مسارات إستراتيجيته في القتل والتدمير والتهجير، وكان الأبرز في هذه الإجراءات الاستمرار في فتح الحدود من أجل تدفق السوريين خارجاً بغض النظر عن أسباب مغادرتهم والبلدان التي يغادرون إليها بما فيها دول يصفها النظام بالمعادية، إضافة إلى عملية تسهيل الحصول على وثائق السفر، بل إنه شجع بصورة مباشرة وغير مباشرة على مغادرة السياسيين والمعارضين والنشطاء للخارج على أمل التخلص منهم، بل وضعهم في سياق أوضاع جديدة، تجعلهم مجبرين على إعادة ترتيب أوضاعهم الشخصية والاجتماعية في البلدان التي حلوا فيها، وهي أمور لم تكن تشغلهم كثيراً عندما كانوا في سوريا، وغالباً لم تكن في أولويات اهتماماتهم.

إن أثراً آخر لعملية هجرة ولجوء السوريين إلى الخارج، يمكن رؤيته فيما تركه ذلك على ثلاثة مستويات ذات علاقة وثيقة بالقضية السورية، أول هذه المستويات هي المعارضة السورية وقوى الثورة، والتي مفترض أنها

معنية بحال السوريين في الداخل وفي الخارج من الناحيتين السياسية والأخلاقية، ليس لأنها تعتبر مشكلة أغلب هؤلاء ناتجة عن موقفهم السياسي المعارض للنظام فقط، بل لأنها تطرح نفسها مسؤولة أخلاقياً عن مساعدتهم في ظل محدودية قدراتها وإمكانياتها المادية في وقت تستمر فيه بخوض صراع واسع ومتعدد المجالات والمستويات مع النظام في الداخل. وللحق فإن هجرة ولجوء السوريين، أربكت المعارضة وقوى الثورة لعدم قدرة الأخيرة على توفير إمكانيات عيش كريم ولائق ولو في أدنى الحدود الإنسانية أو المساعدة في ذلك.

والمستوى الثاني، تمثل فيما تركته هجرة ولجوء السوريين على دول الجوار، والمعني بها تركيا والأردن ولبنان والعراق ومصر التي هي في حكم دول الجوار. ورغم أن تركيا هي أكثر دول الجوار في القدرة والإمكانيات على استيعاب المهاجرين واللاجئين بما لها من إمكانيات وموقف سياسي داعم للسوريين، فإنها لاشك عانت وتعاني من أثر ذلك، فليس من السهل على بلد أن يجد نفسه في مواجهة أكثر من مليون ونصف مليون نسمة مهاجرين ولاجئين، بينما الأمر أكثر صعوبة في البلدان الأخرى التي تعاني من مشاكل وأزمات سياسية واقتصادية - اجتماعية وأمنية، هي في موقف الحذر من تطورات القضية السورية واحتمالات انعكاساتها السلبية كما في النموذج اللبناني المنقسم على نفسه من جهة والمنقسم في آن معاً حيال القضية السورية ذاتها، وهو أمر بات يهدد بانفجار داخلي.

والمستوى الثالث من تأثيرات هجرة ولجوء السوريين، كان على دول العالم الغربي وخاصة غرب أوربا وشمالها، والتي استقبلت عشرات ألوف اللاجئين، وقدمت مساعدات إغاثية وإنسانية كثيرة من أجل اللاجئين دون أن يخفف ذلك من مسؤوليتها السياسية والأخلاقية عن فشلها في مساعدة جدية في معالجة القضية السورية أمام شعوبها وأمام العالم كله الذي بات مهدداً بتداعيات القضية السورية في مستوياتها الداخلية والخارجية.

خلاصة القول في هجرة ولجوء السوريين إلى الخارج، إنها نتيجة إستراتيجية وسياسات نظام الأسد وفي إطار حربه على السوريين ومحاولة حل القضية لحسابه بتصفية الثورة وإعادة إحكام القبضة على البلاد مجدداً، واستطاع من خلال ذلك تحميل الأطراف الأخرى نتيجة أفعاله الإجرامية، وجعلها تأخذ على مسؤوليتها دفع فاتورة تلك السياسة التي مازالت مستمرة وتتفاقم، مما يجعل المهمة الأساسية لكل الأطراف المتضررة من السوريين وقوى المعارضة والثورة ودول الجوار والأبعد منها في العالم وقف هجرة ولجوء السوريين من جهة، وإعادتهم إلى بلدهم دون أن يكونوا عرضة للقتل والتدمير والتهجير، وأن يعيشوا في أمان وسلام رغم نظام الأسد بوجوده أو بدونه على السواء.

ملامح التحول في الملف الكردي

محمد صبحي

إذا كان جيش الخلافة المقدس قد قرر عدم الخوض أو الاستمرار في الحرب على الكورد بمناطق الإقليم في كردستان العراق لأسباب تتعلق بالقرار الذي اتخذه الكورد بالدفاع عن مدن الإقليم، فإن ذلك قد جعل موجة التطرف والعنف ترتد إلى الشمال السوري (مناطق الوجود الكردي) أو كما يحب أن يسميه الكرد (روج أفا) لتتركز المعارك بين الفصائل الكردية المسلحة وبين تنظيم دولة العراق والشام في كوباني والقرى المحيطة بها وتتسبب في نزوح أهلها إلى الحدود التركية، وليست هذه هي الموجة الأولى من التهجير القسري للكورد في محافظة الرقة، معقل الدولة الإسلامية، والتي كانت أولى هذه الموجات تعود إلى العام المنصرم (٢١ تموز من العام ٢٠١٣م) عندما أقدمت كتائب إسلامية مختلفة وباغتت التجمعات السكانية للكورد المدنيين في قراهم بتل أبيض ومحيطها، وتسببت في تهجير ما يزيد عن (٥٠٠٠) عائلة، كما تم نهب الكثير من ممتلكاتهم الخاصة، ومما يلاحظ في سلوك الكورد المسلحين طوال قتالهم في الشمال السوري أنهم قد تجنبوا التعامل بردود الأفعال تجاه التجمعات السكانية للقوميات الأخرى، وهم يرون أن كل ما يقع عليهم من معاناة ونزوح وتهجير لا يعطيهم الحق أن يردوا بذات الأسلوب في تهجير التجمعات التي تحتضن الفصائل الإسلامية طوعاً أو كرهاً، كما أن المدنيين الكورد يتركون لفصائلهم المسلحة المسؤولية في التعاطي مع هذا الشأن بينما ينبري ناشطوهم في توثيق ما أمكن توثيقه من هذه الانتهاكات والجرائم ووضعها أمام الرأي العام العالمي للنظر في تلك الانتهاكات واتخاذ ما يلزم، وتتميز فصائلهم المسلحة، بقدرة عالية على الانضباط العسكري في عدم التعدي على مدنيين انطلاقاً من ردود الأفعال كما يؤكد نشطاؤهم وسياسييهم في كل مناسبة عبر تصريحاتهم الرسمية أن وجود المسلحين بتشكيلاتهم العسكرية لا يعني بالضرورة الرغبة في الانفصال عن سوريا، ولكنها حماية لهذه المناطق فقط. هذا السلوك المنضبط، وهذه المعاناة المتصلة لدى الكورد والتي تمتد بحيثياتها إلى سيطرة حكم الأسد، وما كان من إجراءات ظالمة تتسم بالتعسف السلطوي كالحزام العربي وقانون منع البيع لعقارات في مناطق محاذية للحدود وعدم منح الجنسية السورية للكثيرين من الكورد وتركهم مكتومين في حكم البعث، كل هذا السلوك المستبد راكم لدى الكورد السوريين شعوراً بالانتقاص من مواطنتهم ولم يجدوا من يدافع عن حقوقهم لدى مؤسسات الدولة السورية، وأنه يتوجب عليهم الاستفادة مما أفرزته الثورة السورية من مناخات للمطالبة بحقهم في تقرير المصير عبر المنابر السياسية والحقوقية وتعزيز التسلح لدى فصائلهم المقاتلة.

ساهمت الكثير من الأحداث والتحولات التي نجمت عن الثورة السورية في رسم خارطة جديدة لمعطيات ونضالات الكورد السوريين، فقد تعمق الخلاف القومي والديني فيما بينهم وبين الفصائل الإسلامية بسبب الانتهاكات الصريحة لهذه الفصائل في مناطقهم إلى أن انفردت دولة العراق والشام بهذا الدور كلياً، كما أبرم الزعيم عبد الله أوجلان اتفاقاً من داخل سجنه في جزيرة إيمرالي مع الحكومة التركية يقضي بإصدار الحكومة التركية قانوناً للحكم الذاتي الإقليمي، وهي هدنة تنوي

إنهاء الصراع الذي استمر لثلاثين عاماً راح ضحيته ٤٠ ألف شخص، ما يعني تركيز الجهود والفعاليات العسكرية لحزب العمال الكردستاني في الأراضي السورية، وبذلك يتم التأسيس لصراع لا نعرف ضراوته أو مداه، خصوصاً أنه يواجه رغبة أكيده لدى تنظيم داعش في القضاء على الحركة الكوردية في الشمال السوري ويسعى التنظيم الجهادي (داعش) في الآونة الأخيرة إلى توجيه الضربة المزدوجة، والتي تشمل فصائل الجيش الحر المتبقية في الرقة، وأهمها لواء ثوار الرقة، وتتحالف هذه الفصائل الآن مع قوات الحماية الشعبية PYD في كوباني، وقد وضعت كل إمكانياتها لخوض معركة التحالف (بركان الفرات) ضد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، ويصرح الكورد أنه لا تنازل عن حقوقهم التاريخية وأن من حقهم إدارة مناطقهم التي يقطنها الكورد بالإضافة إلى أنهم أوجدوا هياكل إدارية للإدارة الذاتية في هذه المناطق، ويطالبون هيئات دولية وإقليمية بإنهاء معاناتهم واعتبارهم ثاني أكبر قومية في البلاد تسعى لتأمين حقوقها في تقرير المصير. وإذا كانت الفيدرالية في العراق قد أضافت للكورد استقراراً كبيراً وارتفاعاً ملحوظاً في معدلات التنمية، فإن نضالاتهم في سوريا تقوم على هذه الرائزة بالذات، فالشمال السوري وما يتمتع به من وجود للموارد والثروات يجعل من الإدارة الذاتية مدخلاً لإنهاء ظاهرة عدم العدالة وعدم المساواة في التنمية والإعمار لمناطق الشمال وتكاد تكون المحرض الأساسي والكبير للفيدرالية فضلاً عن إنهاء ظاهرة الاضطهاد للكورد السوريين، وما يمكن أن ينبثق عن هذه الإدارة الذاتية من حقوق ثقافية ظلت غائبة ومحاربة

أمريكا التي نحبّ، أمريكا التي نكره!

أحمد مولود الطيار

مع اقتراب انطلاق الطائرات والصواريخ الأمريكية في عملية يُحضر فيها لحشد دولي لمحاربة «داعش» والقضاء عليها في سوريا والعراق، بدأت تنطلق بموازاة ذلك تحليلات من جهة، ومن جهة أخرى ندب وعويل وكلها: القراءات، تنبش من دفاتر قديمة حول أمريكا ودورها وسياساتها وأيديولوجيتها، مجمعة تلك القراءات على شيطنة الدولة الأعظم في العالم، وأنها لا تتحرك إلا من أجل مصالحها وخدمة لسياساتها! أما «الندب والعويل»، فينطلق من نظرة رومانسية وحالمة إلى العالم تريد كل شيء ولا تريد شيئاً، ومن المهم هنا فيما يتعلق بتلك التحليلات والقراءات، جلّها إن لم يكن كلّها، لا تنطلق في تحليلاتها من معطيات واضحة عبرّت عنها تصريحات الساسة الأمريكيون، أو الإحصاءات التي تقيس توجهات الرأي العام في أمريكا ، أو من البرنامج الانتخابي الذي جاء بأوباما إلى سدة الحكم والزاهد في التدخلات الخارجية، أو حتى من سياسة أمريكية أرادت منها استنزاف خصومها وتحويل سوريا إلى «فيتنام» لإيران أو روسيا»، هي تستند الى نظرية المؤامرة من جهة أو أيديولوجيات تصادمت وتعادت كثيراً مع أمريكا أثناء الحرب الباردة ووجود القطب السوفيتي الذي اضمحل وذهب من غير رجعة، بمعنى أن القراءات تلك، دافعها «الهوى» ولا تعبأ بالسياسة وأصولها وممكناتها، هي أمينة لثوابتها التي تخشبت ولم تعد النظر فيها قراءة ومراجعة، أما أصحاب المعلقات الرومانسية الذين هربوا من داعش إلى ما وراء الحدود، لم ينفكوا أبداً في تحميل العالم، وتحديداً أمريكا، ما أصابهم من ويلات جراء داعش، وعندما تحين لحظة الحرب مع داعش وأن أمريكا تتحضر في حرب دولية شاملة للقضاء عليها، يُحار أصحاب المعلقات تلك ويبدؤون هجومهم خبط عشواء ضد أمريكا وداعش ولا يوفرون النظام السوري الذي كان السبب في وجود داعش.

لا يمكن دائماً تحريك المجتمع الدولي والسياسات الدولية جميعها تجاه قضية واحدة مهما أوتيت - تلك القضية - من القوة والصلابة في عدالة مطالبها المتمثلة بالحرية والكرامة وهو الحجر الأساس الذي انطلقت منه الثورة السورية، وهذا بدت صعوبته في السنة الأولى لتلك الثورة والأسباب معروفة ولم تعد خافية على أحد، ازدادت هذه الصعوبة حتى اقتربت من المستحيل، وبدأت الثورة تخسر حتى من رصيد أصدقائها ومما يسمى بيئتها الحاضنة، وغاب علمها، وغابت شعاراتها، وبدأ اليأس ينتشر في صفوف أشد المؤيدين والمنخرطين فيها. السمّ القاتل الذي بدأ يفتك بالثورة، لم يعد يتمثل في النظام السوري وحده، برزت داعش، ذلك التنظيم الذي يتغذى بالدم، أكبر الحلفاء الموضوعيين للنظام السوري، وتلاقى الطرفان، كلٌّ لحساباته وأهدافه الخاصة، في مصلحة مشتركة تمثلت في القضاء على ثورة طمحت أن تهزم الاستبداد أيّ كان أصله ونوعه ومنشئه. تقرر أمريكا وحلف دولي يتشكل الآن؛ الآن حانت اللحظة لوقف هذا المسمى داعش، أيضا تقرر أمريكا وحلفاؤها، رفض (الدعوة) المقدمة من وزير خارجية النظام السوري وليد المعلم، (التنسيق في العدوان على سوريا) كما جاء حرفياً في تلك الدعوة على لسان الوزير المذكور، الآن نحتار و، (تزدهر) القراءات المحنطة من جديد، و»الندب والعويل» يبدأ بالتلاطم، و»الرومانسيون» يريدون للطائرات المهاجمة أن تحذر وتنتبه جيداً في ضربها لقواعد داعش لأن البنية التحتية في الرقة التي شيّدها النظام طوال عقوده السالفة وأماكن تواجد داعش هشة ورقيقة وقلبونا أيضا رقيقة، وأمريكا التي نحب ونكره، الوصال معها، للأسف، هي مَن تحدد موعده لا نحن. داعش أحد عدوين للثورة السورية، القضاء عليها أفضل من أن تظل «تتمدد وباقية»، والأسد نحتاج إلى تغييرات جوهرية إن أردنا القضاء عليه، رغم أنه حتى ولو استمر زمناً، فإنه غير قادر على التمدد والبقاء. أمريكا ليست جمعية خيرية، و»ليست غرفة للايجار».

هذه الداعش هل سقطت علينا من السماء؟

خيري الذهبي

للدول والشعوب جميعها أو بمعظمها مراهقة أو اندفاعة شباب تكون فيها ممتلئة بالرغبة في فعل استثنائي، ربما في قفزة حضارية، وربما في قفزة فكرية لصنع فلسفة تغير رؤية العالم لليوم وللغد، وربما حسب رأي الرائين إلى الأبد.

أمم البحر المتوسط بشكل عام أمم عدوانية، على خلاف أمم آسيا العميقة كالهند التي لا يعرف عنها أنها غزت أمة أخرى قط، بل على العكس كانت الأمم الأخرى تغزوها طمعاً في ثرواتها ولا تغزوهم، وكذا الصين التي ما إن اكتملت رؤيتها لحضارتها، وللعالم البربري في شمالها حتى بنت سوراً عظيماً تمنع به البدو من مهاجمة حدودها فكان السور أيضا مانعاً روحيا لها من غزو العالم .

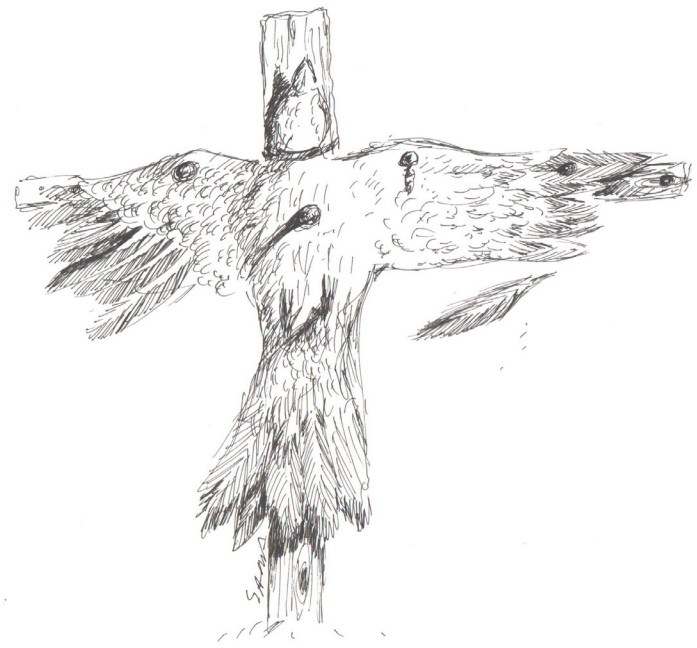

أما أمم المتوسط فكانوا غير راضين عن الجغرافيا التي يعيشون فيها، أو غير راضين عن الثروات التي تهبها لهم هذه الجغرافيا، وبذا يتحولون إلى صناعة الإمبراطورية، والتي تعني أول ما تعني الاستيلاء على ثروات الآخر.. بدءاً من قطعانه ومروراً بنسائه، وختاماً بحرية الشعوب المهزومة التي تتحول بقوة القهر إلى عبيد أو ما يشبه العبيد «رقيق الأرض».

وطبعاً علينا أن نذكر آشور وكلدانيا، وأخيراً فارس التي وصلت بإمبراطوريتها إلى اليونان، وطبعاً عبر الأناضول ومصر، أي العالم المتحضر كما كانوا يرون العالم، فالهند والصين خارج هذا العالم، وفظعت فارس في طغيانها على الأمم التي احتلتها على طريقة المنتصرين الآسيويين حتى ثار اليونان على داريوس الطاغية الفارسي بقيادة فيليب ثم ابنه الاسكندر الذي قضى على داريوس، وأمعن في مطاردة جيوشه حتى الهند... لتدخل المنطقة في طور المنتصر اليوناني الذي كرمته الأمم التي أنقذها من الطغيان الفارسي حتى قاربوا به مرتبة الأنبياء «قلنا يا ذا القرنين» بل والإلوهية في معبد آمون الفرعوني.

احترم المشارقة الذين لم يتسموا عرباً بعد حكمه وفيلسوفه المعلم أرسطو، فجعل بعضهم «أرسطو» نبيا وما يزالون، وكرموا الاسكندر حتى إذا ما جاء الإسلام رفعه إلى مرتبة قريبة من الأنبياء في حديثهم عن ذي القرنين الذي بنى سداً بين دول الحضارة «مصر وبابل والشام» وبين مجتمعات البداوة البربرية الذين سماهم يأجوج ومأجوج «آسيا البدوية الطورانية». والذين سيعودون بكل عنفهم وجوعهم للحضارة مع المغول والجنس الطوراني عموما.

روما قضت على المد الإغريقي واستوعبته في جسمها الإمبراطوري الجديد، وفارس استعادت استقلالها، وهكذا وجد بداة الجزيرة العربية مع استيقاظهم من بداوتهم الطويلة، وشموا رائحة آباطهم في معركة ذي قار أنهم يستطيعون القضاء على مذلهم التاريخي فارس، وكانوا قد جربوا أكثر من طريقة لدخول العصر «الملكية في يثرب» عبد الله بن أبي. وحكم مجلس الشيوخ «حلف الفضول» الذي نقله عبد الله بن جدعان إلى مكة، والنبوة في نبي الطائف، والقوة العسكرية في معركة ذي قار .

وجاء محمد صلعم ليجمع كل هذه الإنجازات والطموحات في دولة القانون الجديد «الدين» ويصنع «المدينة» قرية الدين الجديد «القانون الإلهي» ويبدأ على يده الكريمة خروج العرب من سجنهم الصحراوي إلى الإمبراطورية العربية الإسلامية متابعاً الخط المتوسطي في بناء الإمبراطورية العربية حسب القوميين من بعث وأشباهه «.....أو الإسلامية» حسب السياسيين الإسلاميين.

كان تحرش العرب بالفرس في القادسية إثباتاً لهم أن الفرس المرعبين ليسوا أكثر من نمر من ورق، فانقضوا عليه، وقضوا عليه القضاء المبرم وغيروا ثقافته إلى العربية ودينه إلى الإسلام، وقضوا على اليونان البيزنطيين في كل مستعمراتها خارج أوربا في مصر وشمال أفريقيا والشام ثم على ايبيريا، القوطية «وهكذا وجدوا أنفسهم وقد صاروا إمبراطورية. أو الأكبر في العالم المتوسطي.

بدأت الحرب الأهلية بين العلويين «ليسوا العلويين المعاصرين، با شيعة علي، وهكذا كانوا يسمون، أما الحزب السياسي الذي أنشأه جعفر الصادق تحت اسم شيعة علي، فهذا قد تأخر حتى القرن الثالث الهجري، ولم يفكر السياسيون المعارضون للأمويين بتسمية الهاشميين لئلا يختلط الأمر بين أنصار علي وأنصار بني العباس، وكان الأمويون قد أعلنوا شعارهم: الإمامة في قريش.... موقف شديد الأرستقراطية، ولكن مشروعيته قدمت من مطالبة الهاشميين بالإمامة، وربما كان موقف الأمويين في أن الإمامة في قريش المكية هو موقف أهل روما في أن الحكم لأهل روما فقط، وهكذا كان، وبهذا كانت حتى إيطاليا وأتروريا محكومتين بالرومان أي بأهل روما.

لم تحاول هذه الإمبراطورية صوغ قانون أرضي يحكم علاقات شعوب الإمبراطورية أو يحكم علاقة الدولة الجديدة بدول الجوار، وكانت المعارضة الخوارج والشيعة «يلحون على أن كل سلوك إنساني أرضي يجب الاحتكام فيه إلى كتاب الله».....

وهنا بدأ الصراع الذي كان ينبغي أن يكون بين أحزاب ورؤى سياسية إلى صراع على تفسير الدين ومقولاته، وهنا أخذ الصراع السياسي أصلاً بعداً ميتافيزيقيا استعان الجميع فيه بالسماء لإثبات أحقيتهم في حكم الرعايا الجدد، وقفزت آسيا البدوية جدا «الطورانية» إلى الساحة فقسمت البيدر إلى عشر وتسعة أعشار.. عشر للشرف النبوي نسل العباسيين. وتسعة أعشار لسلطان القوة العسكر.

حين خرج العرب عن الرحم العثمانية، والتي سبقتها ثلاث مئة من حكم المماليك الترك، خرجوا والغرب يمني الشريف حسين بأنهم سيعودون أخيراً إلى حكم إمبراطوريتهم، ولكنهم ما إن تعاونوا مع الغرب على إسقاط الإمبراطورية الشيخة حتى وجدوا أنفسهم يواجهون العالم مجزئين وجاهلين بالحكم وأصوله وأقصى ما في ذواكرهم طاغية مملوكي يستملكهم باسم الدفاع عن بيضة الإسلام، وأخذ حلم الورثة الضعفاء باستعادة عز الأجداد يتعاظم فيهم، وهكذا تحول الحلم إلى حلمين، حلم لعرب لا يعرفون متى كانوا عرباً ولكنه الرابط الوحيد المعلن بينهم، وهذا الحلم تحول إلى كابوس على يد البعثيين الجارين العدوين حتى ليكتب على جواز السفر أن بلدين يمنع السفر إليهما إسرائيل ودولة البعث الثاني، أما الشطر الثاني لاسترجاع التاريخ فقد حمله الإسلاميون الذين تسموا في مصر ثم في العالم الإسلامي باسم الإخوان المسلمين، والذي هاج وماج حتى وصل وأوصلنا إلى الكارثة الداعشية.

الآن والمشارقة العرب وبين أيديهم كارثتان متسللتان من أست التاريخ... الكارثة البعثية وقد رأينا ما فعلتا في العراق ثم في سوريا..... والكارثة الداعشية... الديناصور الذي لم يعترف بتغيرات التاريخ حتى اليوم..... ترى هل آن للشاميين والعراقيين أن يصحوا من الحلم الإمبراطوري وأن ينصرفوا إلى بناء أوطانهم، فحركة الحضارة لن تغفر للمتقاعسين.

الحرب القادمة على سوريا..
غروب الإرهاب وشروق الانتداب

معبد الحسون

التحالف الدولي ضد الإرهاب في سوريا بات حقيقة واقعة ومؤكدة، ولم يعد تصديراً إعلامياً براقاً أو مرويّة سياسية مستنتجة أو مستنسخة أو متوقعة، يُضاف إلى هذه الحقيقة أنه بات في حكم المؤكد بأن ثمة أربعين دولة ستشارك في هذه الحملة الدولية غير المسبوقة حتى في الحشد الدولي على العراق إبان حرب الخليج الأولى، ولقد تم الإعلان عن اسم خمس وعشرين دولة رسمياً صادقت على موافقتها ومشاركتها في هذه الحملة المعلنة ظاهرياً ضد داعش وجبهة النصرة وكل مسميات القاعدة الأقل شهرة، وهذا إذا أخذنا الأمور بظواهر المعلن فحسب.. فضلاً عن أن هنالك خمسَ عشرة دولة أخرى فضلت في المرحلة الراهنة أن تبقي اسمها مطوياً عن الذكر غير معلن، على الأقل في اللحظة الراهنة..

لا نحتاج لأن نوقف توقعاتنا على أُضمومة من الحقائق مستدلٍ عليها بما يشبه ثبات البديهية التي تؤكدها كل ما تنطق به وتسفر عنه الحقائق شيئاً فشيئاً، أن الحملة التي لم تتفق الصدفة ـ حتى في الدول التي شهدت الحربين العالميتين ـ على اجتماع كل هذا العدد من الدول.. ورأس هذه التوقعات المستنتجة أن الحرب القادمة لن تكون «ضربات جوية فحسب» يتبعها تمشيط للأرض ـ شكلي أو فعلي ـ يقوم به الجيش الحر والفصائل المعتدلة.. وإلا لكان في الولايات المتحدة وعدد أقل من القليل من شركائها الإقليميين أو الدوليين الكفاية في تنفيذها، دون اتكال على كل هذا الحشد من الدول التي تُعتبر مشاركتها نافلة لا لزوم لها، وفضول فاعلية لا تسندها أية حاجة عسكرية أو غرض من أغراض المساندة.

الوقائع كلها تنطق دون نطق، وتقول دون قول: إن سوريا، بأزماتها المستعصية وكوارثها المزمنة والصداع السياسي الذي بات فاشياً في رأس البشرية بسبب التقلبات والتطورات الحاصلة على أرضها.. سوريا لم يعد من مندوحة قولٍ بأنها سوف تقع ـ في جزءٍ من التوافقات على رؤيا دولية نهائية لمشكلتها ـ تحت بند انتداب غير معلن رسمياً.. انتداب ربما يكون تحت إشراف الأمم المتحدة أو مجلس الأمن من حيث الظاهر، ولكنه في باطنه سيكون انتداباً يقوم على الشراكة بين جميع الأطراف الدولية المتناحرة والمتصارعة على الأرض السورية.. هذا الانتداب (وهو بكل تأكيد سوف يُعطى اسماً رسمياً وقانونياً دولياً غير هذا الاسم) هو في الحقيقة وقفة استراحة لجميع الأطراف التي وهنت قواها على الأرض واستُنزِفت، وتلك التي لم تهن ولم تُستنزف، وهي وقفة الضرورة التي تسعى إلى حل نهائي للمحنة السورية، وربما تكون قبة الأمم المتحدة ومجلس الأمن أولى بها من غيرها في المرحلة القادمة.

سوف يُستأصل الإرهاب من جذوره، كما أتوقع. ولعل جمع كل أسماك الأنهار والبحيرات في بركة واحدة له غاية قصدية مضمرة من أجل تكديس أسماكه الميتة كلها في شباك واحد، ثم إعادة النظر من جديد في الملفات الدولية العالقة، والتي لم يتم الحسم بشأنها: النظام – الحالة الطوائفية التي جاشت غواربها– الدمار شبه الكامل للبلد – الصفقات السرية الغامضة بين إيران والغرب بشأن الموقف من الملف النووي – ملف إعادة الإعمار – تركة القاعدة والنظام المجتمعية والقانونية التي تحتاج جروحها إلى سنوات لتبلغ بُرْأَها...

غروب الإرهاب في سورية سوف يُدَوَّر فلكياً مع شروق الانتداب والوصاية، وفقدان جزء من قرار السيادة، وربما لفترة طويلة من الوقت قد يدفعنا استنطاق الواقعية في القول أن نتصارح بأننا سنكون جزءاً من لعبة دولية لم نعد نملك من أدواتها اسماً ولا رسماً، ونشارك في بازارها وليس في جيوبنا رأس مال المشارك أو مال المساهم.. تركة نظام الأسد وداعش لن تزول بزوالهما، ولا قبل مرور أجيال سورية عديدة على جسر آلام ما حدث ويحدث، وليس هذا ندباً أو استشرافاً تشاؤمياً تناثره العواطف وتلفظه الرغبات، بل إنها الحقيقة التي سوف نستفيق عليها ذات فجر أربد وصباح أسود، لنحصي عدد شهدائنا ومفقودينا وحجم المشاكل وضخامة التركة الفادحة ونوازع الانتقام والجموحات الثأرية التي شرخت وحدة اللحمة العائلية والمجتمعية- مقاساً على ما كانت عليه من انسجامٍ في السابق، وفي قلب كل خلايا المجتمع التي تبعثرت وتشظت شرخاً لن تستقيم لأمته وتُلحم ثلمته قبل مرور سنين وليال، وأيامٍ طوالٍ طوال..

من ينهي معادلة خسارة النظام وعدم انتصار الثورة؟

* بشير هلال

بعد ثلاث سنوات ونصف من بدئها وفيما يبدو النظام الأسدي مترنحاً ومعتمداً في بقائه على الخارجين الإيراني والروسي أكثر من أي وقتٍ مضى، كان يمكن للثورة السورية أن تكون ليس فقط بحالٍ أحسن ولكن أيضاً أكثر اقتراباً من أفقها التاريخي كحركة تحريرية مركزية في الشرق الأوسط الملتهب والمتدافع «القضايا». فلأول مرة تحضر «الفرصة» أمام ثورة ديمقراطية وطنية لتواجه حرباً شاملة مزدوجة يشنها بشكلٍ متزامن ومتوازٍ نظام ديكتاتوري بربري أطاح خلال أربعة عقود بكل شروط الدولة، واسلامويةٍ تشميلية مُحدثَة تتسلح بالتهليع والتخويف الجماعيين من خلال مسرَحَة دمويتها وتعميمها. لكن الأمور لا تجري تماماً وفق هذا السياق. ففي هذه المواجهة يبدو آنياً على الأقل أن قوى الثورة الديموقراطية هي الأضعف بوجه الطرفين اللذان يكادا يتقاسمان السيطرة العسكرية على معظم سوريا بعدما تولى تنظيم داعش احتلال كثير من المناطق غير الخاضعة لسيطرة النظام فيما تتولى بعض المنظمات الإسلامية الأخرى المدعومة من ممولين خليجيين عموميين وخواص إخضاع بقية المناطق وامتصاص وتشظية وتقاسم

معظم مجموعات «الجيش السوري الحر» الذي بدأ أساساً كمجموعات انشقت عن الجيش الأسدي رفضاً للخيار العسكري الأمني الذي اعتمده النظام كرد حصري ووحيد على الثورة. فأن تُحسَب على «الجيش الحر» مجموعات إسلامية لا تقر بمدنية الدولة ولا بآليات الديموقراطية لأمرٌ يُضعِف هوية هذا الجيش ويضع دوره موضع تساؤل في الصراع المتزامن الذي ينفتح بوجه النظام وداعش. ولا يغير من هذا الواقع أن يكون هناك قاسم مشترك وحيد هو محاربة النظام وداعش لكن دون أدنى اتفاق على الخطوط العريضة لما بعد الأسد ووسط غموض يشمل البرامج العملية للتيارات الإسلامية وفي مقدمتها حركة الإخوان المسلمين ولأدتها التاريخية التي رفضت أن تُذكُر في وثيقة المعارضة في القاهرة قبل عامين ونيف صيغة «الدين لله والوطن للجميع» وروجَّت منذ بداية وجود مناطق مُحرَّرة لإقامة محاكم شرعية وتطبيق الشريعة في فرضٍ استباقي لوجهة نظرها ينفي التزامها اللفظي بالاحتكام إلى صناديق الاقتراع وفق وثيقتها الصادرة بعنوان «رؤية جماعة الإخوان المسلمين في سورية - المشروع السياسي لسورية المستقبل» في ٢١ تشرين الأول ٢٠١٢. وإذا كانت سياسة الولايات المتحدة بوصفها القوة العالمية الأولى مسؤولة رئيسية في الأصل عن إضعاف الإمكانيات الاحتمالية لتطور الجيش الحر بحرمانه كل تسليح نوعي وكل تمويل محايد وغير تدخُلي ممن يُدْعون «أصدقاء سوريا» فإن عدم وجود قيادة سياسية - عسكرية موحدة وحاضرة ميدانياً أدى بدوره إلى تحول عفوية ولامركزية الحراك من مصدر قوة وشعبيةٍ في بدايته إلى مصدر إضعافٍ لاحق.

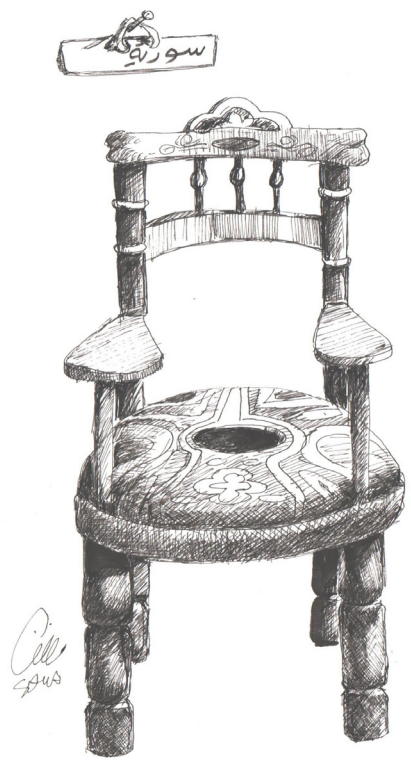

ما يجب احتسابه للتقديرات المستقبلية أن قوى الثورة تعمل في ظروف أكثر صعوبة بما لا يقاس من فترة البدء. فمن جهة هناك تفريغ ديموغرافي غير مسبوق طال «الحواضن» الشعبية للثورة إذ بلغ عدد اللاجئين السوريين إلى الخارج أكثر من ثلاثة ملايين إضافة إلى ٦,٥ ملايين نازح داخلي. وتم ذلك بصورة رئيسية نتيجة سياسة الحرب الكليَّة وأدواتها الترويعية والتجويعية والإبادية التي انتهجها النظام وتستكملها الآن سياسات داعش وفوضى إدارة وصراعات المناطق»المحرَّرَة. وهناك ثانياً التراكم الكمي والنوعي لنتائج تفريغ الثورة من جزء رئيسي من كوادرها ونشطاء لحظاتها الأولى بالاعتقالات والخطف والقتل والتهجير، ما أضعف موضوعياً إمكانية تأطيرها وقيادتها السياسيين. وهناك ثالثاً تعاقُب فشل وضعف فعالية وتمثيلية الهيئات القيادية السياسية والعسكرية «المركزية» التي انخفض مقدار «سوريَّة» و»داخلية» قرارها وعملها فيما كانت الحاجة تزيد إلى العكس. هذا دون نسيان المسألة الكردية التي تشق طريقاً متميزة ومتعرجة داخل وخارج الثورة وتستدعي إضافة إلى الطائفية والمذهبية إنتاج وتعميم مقاربات جديدة. ما يخفف من قتامة الصورة استنتاج أن النظام لا يمكن أن يستمر دون دعم خارجي في وقت يتضح فيه أن هذا الدعم لا ينقذه مع ذلك من أحد احتماليْن: السقوط أو الانكفاء إلى بنية تقسيمية يصعب الدفاع عنها والترس فيها. كما أنه دعمٌ يصبح بذاته موضع معارضة متزايدة بعد التوسع الداعشي واستنتاج اوباما والقوى الغربية أن هزيمة «الدولة الإسلامية» تحتاج «إستراتيجية إقليمية خصوصاً مع شركائنا السنّة». ثمة آفاقٍ جديدة تنفتح مع إلحاح النقاش الدولي حول الحاجة إلى مباشرة مرحلة انتقالية في سوريا انطلاقاً من «ضرورة بناء تحالف دولي إقليمي ضد الإرهاب» ومع إيصاد الأبواب أمام إعادة تأهيل النظام في إطاره. وفي نسبة القوى الحالية فإن أية مرحلة انتقالية لن تكون شيئاً آخر غير تجسيدٍ لمعادلة انفراط قيادة النظام دون تغييره وضرورة استكمالها بولوج مرحلة جديدة تنهي صيغة خسارة النظام وعدم انتصار الثورة.

* كاتب لبناني

هتلر والأسد..!

أحمد محمد نور العُجيلي

هنا في «برخستغادن» يتهافت الزوار فرادى وجماعات يدفعهم الشغف والفضول لتقليب صفحات التاريخ الحديث في أوربا، في هذه المدينة وعلى تلّةٍ شاهقةٍ يقبع الكوخ الذي كان يوماً ما مصيفاً لأحد طغاة التاريخ «الفوهرر» (أدولف هتلر).

لا يمكن للمرء أن يتكهن نوعية تلك المشاعر التي تتملك كلّ زائرٍ لهذا المكان. فخصوصية المكان وجدليته نابعة من خصوصية صاحب المكان، ذاك المجرم الذي أثار جدلاً كبيراً في حياته وبعد موته. فلو كنتَ في (آية صوفيا) في اسطنبول مثلاً، ورأيت سائحاً إيطالياً أو يونانياً أو حتى فرنسياً، ربما تستطيع استبطان مدى الحزن على آثار الأجداد التي بادت وانتقلت إلى أيادٍ أخرى، وربما كانت ستظهر مشاعر الفخر وعلامات الزهو على ذلك السائح، وهو يمعن النظر بعظمة البناء وروعة الصنعة التي امتلكها أسلافه، وتركوها معلماً حضارياً دالاً على تاريخٍ متألق قد مضى. كذلك الحال لو كنت تزور إسبانيا مثلاً، وتتنقل بين غرناطة وقرطبة، وتجول ببصرك بين «جنّة العريف» أو قصر «الحمراء»، أو لو وقفت على قمة «جبل الحسرات» تستذكر وقفة أبي عبد الله الصغير حين بكى ملكه الذي لم يحافظ عليه كالرجال، ربما لو فعلت ذلك كانت ستظهر عليك أيضاً كثيرٌ من مظاهر الحزن على ماضٍ تليد؛ وقد تعتريك نشوةٌ عارمةٌ وأنت تسترق السمع بعيداً عن ضجة السائحين فتطرب إلى ترنيمات «اسحق الموصلي» و»زرياب»، وتغيب في عجلة الزمن على حين غفلة من رفاقك المتجولين حولك.

إلا أنّه، في هذا المكان تتداخل المشاعر وتختلط تبعاً لاختلاف جنسيات أولئك الزوار المتقاطرين من كلّ حدبٍ وصوب، وهم يتجوّلون في ردهات ذاك الكوخ المتهالك الذي غدا انعكاساً لتهالك وتمزق أفكار ورؤى صاحبه. في حين ظل شبح صاحبه قابعاً في ذاكرة الشعوب الأوربية، رمزاً للقتل والعنصرية والخراب والدمار. فلو كان السائح من روسيا فإنه حتماً سيشعر بالعظمة وهو يسترجع جبروت «هتلر» وقسوته وبطشه، ليحمد ربّه سراً على قدرة أجداده على دحر هذا المستعمر الغازي لبلاده، ويستذكر ما قرأه أو ربما عايشه عن معركة «ستالينغراد» بنشوةٍ عارمة. أما لو كان السائح بريطانياً قضى جدّه وجدّته في القصف العنيف لمدينة «كوفنتري» التي ذاع صيتها في التاريخ لما تكبدته من خسائر بشرية هائلة نتيجة القصف البربري لطائرات النازية آنذاك. فإنه سيلعن هتلر والنازية مراراً وتكراراً طوال فترة تنقله في أرجاء المكان. أمّا لو كان السائح يهودياً فربما صلّى إلى جوار أحد الجدران المتصدعة حمداً للرّب على خلاص شعبه من قاتلٍ دمويٍ عنصري، أو ربّما قفزت إلى ذهنه فكرةٌ جهنميةٌ ليست ببعيدة عن بنات أفكار اليهود، فيُطالب السلطات الألمانية بتخصيص ريع السياحة إلى منزل «هتلر»، ودفعه إلى دولتهم المزعومة للتكفير عن جرائم النازية بحقّ اليهود في يومٍ قد مضى.

ولكن السؤال الأصعب ها هنا: ما هو شعور السائح الألماني إلى مثل هذه البقعة الجغرافية من بلاده. وهو يراقب أفواج السائحين الأجانب، ويحاول توقع ما تخفيه سرائرهم؟!

حاولتُ التنبّؤ بردّة فعل السائح الألماني، وأنا برفقة معلمة اللغة الألمانية التي اصطحبتنا لزيارة هذا المكان، إلا أنني لم أفلح في الغوص إلى أعماقها، وقراءة أفكارها، فلم يكن لي بدٌ من مبادرتها بالسؤال الذي كان يلحّ عليّ طيلة مدّة تنقلنا في ذاك المنزل:

- هل بإمكانك معرفة مشاعر أولئك السائحين، وهم يتجوّلون داخل مصيف هتلر؟! وما هو شعورك أنتِ ؟!

- هنا تنهدّت المعلّمة بحسرةٍ كبيرةٍ، وعبّت نفساً عميقاً من سيجارتها، وقالت بإنكليزيتها الرقيقة ما معناه:

كان جدّي مزارعاً ألمانياً وجدّتي من بولندا، من مدينة «فيلون» أوّل مدينة دكّها طيران النازي. فقدت جدّتي أهلها جميعهم في القصف الهمجي الذي بدأ بتلك المدينة الصغيرة الواقعة على الحدود الألمانية البولندية. راحت المعلمة تسرد قصص المعاناة والنزوح التي رافقت تلك الهجمة الشرسة، والتي غيّرت خارطة العالم. كانت تسرد الذكريات والدموع تملأ مآقيها، وتنهدات الحسرة والألم لا يمكن لها أن تخفيها. إلا أنّ الحسرة والألم لم يكونا على ماضٍ غابرٍ يستدعي فكرة الفخر والزهو؛ لقد كانت مشاعر تنمُّ على اللوم والندم على أشياء كثيرةٍ قد حصلت كان بالإمكان تفادي حصولها.

إلا أنها وبعد أن سردت تقريراً مُفصّلاً عن مجريات الحرب، وما جرّته من ويلاتٍ على الشعب الألماني وباقي شعوب المنطقة. استعادت ثباتها وصلابتها، وقالت بلهجة تنبعث منها قوة الإرادة والتصميم التي عرفها العالم عن الشعب الألماني:

- لقد دفع الألمان ثمناً باهظاً لعنجهية هتلر، وإجرامه وبطشه، إلا أننا تعلمنا الدرس جيداً. لذلك لم نعد نسمح لديكتاتور أن يحكمنا. فمنْ يتسلّم سدّة الحكم يجب أن يحكم باسم الشعب، وينطلق من إرادة الشعب، وإلا فإننا سنعزله ونأتي بغيره. لأننا وبكل بساطة لم نعد نقوى على دفع حياتنا ثمناً لأحلام الأشخاص.

هنا، كان من الممكن لأيّ زائرٍ أن يتكهن بمشاعري أنا حين يعرف أنني سوري؛ كنت أرى بعينيّ نظرات زملاء رحلتي نحوي، تلك النظرات التي حملت نوعاً من التعاطف الممزوج بالألم على أحوالنا نحن السوريين، ولا شعورياً تذكّرت تلك اللحظة التاريخية التي غيرت مسار حياتنا جميعاً في سورية، حين تمّ تعديل الدستور بثوان معدوداتٍ، ولعلّي قرأت في نظرات معلمتي قولها لي وللسوريين جميعاً: «يداك أوكتا وفوك نفخ»...

إلا أنّ المعلمة الألمانية تابعت حديثها، واستدارت نحوي وهي تربّت على كتفي، لتقول هذه المرّة وبلهجةٍ جدّية مفعمة بالقوة والثبات: عليكم أن تتعلموا الدرس جيداً...

معركة مستقبل سوريا

علي العبد الله

بإعلان النظام السوري «انه تبلّغ بالهجوم الأمريكي»، وترحيبه به بشرطين «عدم المس بالسيادة الوطنية وعدم إلحاق الأذى بالمدنيين»، وحديث صحافته عن «الخندق الواحد» الذي جمع الجيشين الأمريكي والسوري، حدد موقفه وموقعه من هجوم التحالف الدولي ضد تنظيم داعش، وجاء تحركه العسكري، إن عبر تصعيد عمليات القصف الجوي على مواقع لداعش أو الجوي والبري على مواقع كتائب المعارضة الأخرى، ليفرض نفسه طرفاً في التحالف، ويجعل من المعارضة المسلحة طرفا في الإرهاب.

لم يتأخر الرد الأمريكي بإعلان واشنطن «إننا لم نأخذ إذناً من أحد». فواشنطن التي أثار هواجسها انهيار القوات العراقية والكردية، ومظاهر تعاطف السنة العرب مع داعش، وحاجتها إلى غطاء سني عربي لعملياتها العسكرية، ناهيك عن تمويل هذه العمليات، ليست مستعدة لإثارة مخاوف السنة العرب، والحلفاء الخليجيين، إن بالتنسيق مع النظام السوري أو بالتحالف مع إيران الشيعية ضد تنظيم سني فتمنح داعش فرصة تمثيل السنة، لذا تجاهلت الطلبات والرسائل والتلميحات، كما عبرت عن تأييدها للرئيس اليمني في مواجهته للحوثيين. وهذا أربك النظام السوري، الذي شكك بالنوايا الأمريكية، وتحدث عن عدم جدية واشنطن في مكافحة الإرهاب وعن ازدواجية معاييرها في هذا الخصوص، ودفع إيران إلى التصعيد في لهجتها، وانتقادها للتحالف، والتشكيك بدور الضربات العسكرية في تراجع داعش في بعض المواقع. شكلت الإستراتيجية الأمريكية، والتحالف الدولي ضد الإرهاب، وبدء الضربات العسكرية لمواقع داعش في العراق وسوريا، فرصة للنظام وللمعارضة لتحقيق مكاسب نتيجة لإضعاف داعش والقضاء على دولته، وإعادة معادلة الصراع إلى سياقها الأصلي: صراع نظام معارضة، بخلق تقاطعات سياسية في ضوء التشابك والتداخل بين الملفات والمصالح من جهة وما يفرضه توازن القوى على أطراف الصراع المباشرين من ضرورة تعزيز مواقفها في الصراع عبر التحالفات المصلحية، وهو أمر مفهوم ومقبول في إدارة الصراعات، من جهة ثانية. وإعادة الصراع إلى سياقه الأصلي، صراع نظام معارضة، سيفتح على البحث عن حل لإنهاء الصراع، كجزء من حل في المنطقة، وإخراجه من حالة الاستعصاء إما عبر دفع الطرفين إلى العودة إلى العملية السياسية، وتنفيذ بنود بيان جنيف١ أو بتحريك التوازن العسكري على الأرض لصالح أحد طرفي الصراع وتوفير شروط حسم عسكري لصالحه. وفي ضوء المعلن من الخطة الأمريكية أن يضرب داعش، مع منع النظام من التقدم إلى المناطق التي سيتركها، وفق مضمون الرسالة التي نقلها مسؤول الأمن الوطني العراقي إلى رئيس النظام السوري حيث أبلغه أنه لن يُستهدف ما لم يتعرض لطائرات الحلفاء أو يتقدم لملء الفراغ، وأن تملأ المعارضة المعتدلة الفراغ الذي سيحصل بهزائم داعش، وهذا سيخلق توازن قوى على الأرض في صالح المعارضة، وبعد هزيمة داعش يتم الضغط على النظام للعودة إلى جنيف والاتفاق على مرحلة انتقالية وإلا استُثمر تحسن وضع المعارضة ميدانياً، والبدء بقضم المناطق التي يسيطر عليها حتى يضطر إلى قبول حل سياسي على قاعدة بيان جنيف١.

جاء موقف النظام السوري عكس ما تريده إيران فالتصريحات والمواقف تشي بتطلعها إلى موقف سوري أقوى برفض التحالف والهجوم على الأرض السورية كي تستثمره على طاولة المفاوضات النووية، في ضوء ما أُعلن عن استعدادها المساعدة في الحرب على داعش مقابل تخفيف الشروط الغربية في ملفها النووي.

لقد برز التباين بين الموقفين على خلفية تباين مصالح النظامين الآنية، فالنظام السوري يخشى من بند خفي في الخطة الأمريكية لإسقاطه، ومن أن تدفع إيران من حسابه، والنظام الإيراني، الذي خسر في العراق في لحظة دقيقة: اقتراب ساعة الحقيقة بالنسبة لملفه النووي، والباحث عن تعزيز موقفه على طاولة المفاوضات كان يتطلع إلى موقف سوري قوي ليضيفه إلى ما سبق وأخذه من خطوات بزيادة دور الحرس الثوري في العراق ودفع الحكومة العراقية لاتخاذ مواقف تقيّد تحرك التحالف بما فيها أخذ موافقة الحكومة على القصف بذريعة التنسيق، ورفض القوات العراقية والحشد الشعبي الشيعي التنسيق مع القوات الأمريكية، وصولاً إلى اجتياح الحوثيين للعاصمة اليمنية صنعاء، كي يعزز موقفه التفاوضي. والخلاف يصب في مصلحة المعارضة السورية ويمنحها فرصة إضافية لتعزيز موقفها السياسي والميداني في حال أحسنت استثمارها وتوظيفها عملياً.

غير أن المشكلة الخطيرة هي في عدم تحرك المعارضة السياسية، ممثلة بالائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، والمسلحة، ممثلة ببقايا الجيش السوري الحر والكتائب العسكرية الأخرى، لملاقاة التحرك الدولي بإجراء تقدير موقف دقيق وتبني الموقف الذي يجعل منها شريكاً في المعركة، وبالتالي شريكاً في حصاد المكاسب. فالتقاطعات التي توفرها المصالح المشتركة محكومة بقوانين الصراع، فوفق صاحب نظرية التقاطعات، مستشار الأمن القومي الأمريكي أيام الرئيس جيمي كارتر زبيغنيو بريجنسكي، في كتابه أمريكا والعصر التكنترونى (ترجمه الدكتور محجوب عمر تحت عنوان بين عصرين وصدر عن دار الطليعة اللبنانية عام ١٩٨٠) يصب التقاطع في مصلحة الطرف الأقوى، ما يستدعي جمع أكبر كمية من أوراق القوة لتكون حصتها من حصاد الصراع معقولة. فالنقطة المركزية في هذه اللحظة السياسية هي قدرة المعارضة بشقيها السياسي والعسكري على اختيار الموقف المناسب والتواجد على الطاولة والأرض والمساهمة في الصراع كشركاء وليس كملحقين بالآخرين. إذا نجحت في تقدير الموقف وأخذت موقعاً مناسباً في المواجهة فستكون طرفاً على طاولة رسم مستقبل سوريا وقادرة على تحقيق بعض مطالب الثورة وشق طريق للتغيير نحو الحرية والكرامة.

نقطة أول السطر

عصا وظيفية

الشاوي الضليل

إن الإستراتيجية الأمريكية في شقها السوري، تبدو أكثر تعقيداً، لأن الغموض والتصريحات المتناقضة التي أدلى بها (كيري والبنتاغون) توحي لنا أن هناك شقاً غير معلن، وقد يكون هو الشق الأهم، وبما أن المعلن من التصريحات قد بدأت قوات التحالف الدولي ضد الإرهاب تنفيذه ، وبقيادة أمريكية ومشاركة عربية، وذلك بضربات جوية وصاروخية لمواقع قوى إسلامية متطرفة (الدولة الإسلامية والنصرة وأحرار الشام ..الخ)، ورافق هذه الضربات كما سبقها كم هائل من التحليلات الموجهة والمحملة برسائل مفرطة في التفاؤل، وتبشر بانهيار الدولة الإسلامية وأخواتها وتفككها السريع أمام الضربات الموجهة إلى مراكز التجمع والتدريب والاتصالات ومقرات السيطرة، وأن ذلك سيفقدها حواضن وبيئات تتعاطف معها في الجغرافيا التي تتحرك فيها.

أعتقد أن (داعش) والقوى الإسلامية الأخرى المستهدفة، ستستغل الثغرات في الإستراتيجية الأمريكية، وستؤكد أن هذه الحرب هي حرب ضد الإسلام، وبذلك يمكنها التجييش والنفاذ إلى بيئات كانت تعتبر فيها (داعش) ممثلة للظلامية باسم الإسلام، ومن أهم هذه الثغرات أن الإستراتيجية الأمريكية لم تساوي بين إرهاب النظام وإرهاب القوى الجهادية المتطرفة، وأن هذه الثغرة تؤسس لتقوية النظام على حساب تحجيم القوة العسكرية للقوى الإسلامية المتشددة، بالإضافة إلى ثغرة مهمة أخرى وهي عدم الجدية بدعم تشكيل عسكري يؤسس على أسس الجيوش الحديثة، كي يكون بديلاً للمجاميع الإسلامية المتشددة ولجيش النظام، وهذا واضح من خلال اعتماد الأمريكان على مجاميع عسكرية من الجيش الحر سيئة السمعة، تعمل منفذة للخطط الأمريكية كقوات (مرتزقة) وليس كبديل يؤسس عليه جيش وطني.

وبذلك تتضح لنا معالم أولية لإستراتيجية غير معلنة، تعتمد على استخدام العصا الغليظة، والتهديد باستخدامها بقوة القرار الدولي، كي تعقلن جموح القوى الراديكالية الإسلامية، وتلزمها باحترام قواعد اللعبة الدولية، وحماية المصالح الدولية في المنطقة (خاصة الأمريكية وحلفائها)، ومن ثم تدفع بها إلى مواجهة الحلول السياسية المطروحة والتي سيكون النظام (برأسه أو دونه) أحد أهم أركان أي حل سياسي قادم، وهذا يعني أن القوى التي صنفها المجتمع الدولي قوى إرهابية ووجب عليه محاربتها وتفكيكها ستكون الشريك الوظيفي في المنطقة من أجل تنفيذ الشق الأهم في الإستراتيجية الأمريكية، والتي تهدف إلى إعادة رسم خارطة المصالح في الشرق الأوسط الجديد وتعديلات على الحدود لبعض دول المنطقة، وأن نجاح أمريكا في الوصول إلى هذه النتائج يوجب عليها الجلوس مع قوى (إرهابية) وعقد الاتفاقات معها، كي تستطيع استخدام منتجها المتطرف كسلاح لإعادة التوازن في المنطقة في مواجهة إيران وروسيا.

عن الحاكميَّة.. وتكفير المجتمع

حمزة رستناوي

في البداية أدعو القارئ لتأمّل هذه العبارات الثلاثة المجتزئة من سياقها القرآني:

- وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (المائدة ٤٤)
- وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (المائدة ٤٥).
- وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (المائدة ٤٧)

فالآيات الثلاثة السابقة، بُنِيَتْ على أساسها أحزاب وجماعات هيمنت على العالم الإسلامي (تيار الإسلام السياسي)، تيارات تقوم على عقيدة الحاكميّة وتكفير المسلمين للمسلمين، وتسويق العنف داخل المجتمع.. وهذا ما دعانا للوقوف عندها.

والأمر بغاية البساطة لا يحتاج من القارئ الكريم سوى أن يكون على إطلاع باللغة العربية هو متوفر لعموم الناس في مجتمعاتنا, ويحتاج لأن نثق بأنفسنا وعقولنا التي وهبها لنا الله (سبحانه وتعالى)

والسؤال الذي سوف أتركُ إجابتهُ للقارئ الكريم هو:

مَنِ المقصودْ والمُخاطبْ بهذه العباراتْ، جماعة المسلمين أم جماعة اليهود؟ استناداً للسياق وترتيب الآيات القرآنية نفسها لا غير؟!

الآية رقم ٤٣ : كَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ.

الآية رقم ٤٤ : إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ.

الآية رقم ٤٥ : وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.

الآية رقم ٤٦ : وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ.

الآية رقم ٤٧ : وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.

أربعة تساؤلات إضافية:

أوّلاً: هل يحقُّ لنا تعميم الخطاب المخصوص من دون أدلّة، وقرائن صريحة من داخل النص نفسهُ؟!

ثانياً: الكافرون والظالمون والفاسقون هي توصيفات وردت على لسان «الله سبحانه وتعالى» الله الذي خلق الناس جميعاً بمن فيهم الكافرين والظالمين والفاسقين، ولم يرد في سياق العبارات السابقة أي إشارة لعقوبات أو تبعات دنيوية لهذه الأفعال، سوى ضرورة الاحتكام للقانون الخاص لكل فئوية دينية، وركّز فيها على جماعة أهل التوراة وأهل الإنجيل. ولم تشر الآيات القرآنية السابقة لتوكيل إلهي مخصوص لفرد أو جماعة بشرية معينة بشيء.

ثالثاً: تعبير «ما أنزل الله» هو مفهوم إشكالي قابل لفهوم متعدّدة خاصة تبعاً للفئوية العقائدية وتبعاً لمحتوى الرسالة نفسها خاصة أن القرآن الكريم كتاب عقائد في العموم يحتوي على مقاصد وإشارات وعبر وتأملات أكثر منه ككتاب عقوبات جزائية وقوانين بالخاصّة، فتحديد الآيات التي تحتوي على أحكام وعددها موضوع خلاف فمنهم من يجعلها ٥٠٠ كالإمام الغزالي، ومنهم من قال ٢٠٠ آية كالصنعاني، ومنهم من قال ١٥٠ آية كابن القيم بما يتضمن أحكام الأمم السابقة.. الخ

رابعاً: هل يمكن الفصل بين دلالة العبارات السابقة وإمكانية استخدامها وتسخيرها في الصراعات السياسية بين المسلمين أنفسهم، قبل غيرهم؟! وهل علينا البحث في الدلالة المجرّدة للنص القرآني، أم في إمكانات استخدام هذا النص، وتوظيفه في السياقات الاجتماعية والسياسية وتقدير مدى حيويّة هذا الاستخدام.. ربطاً بالمقاصد العامة.

أبو كزلك كعب الفنجان

نجاة عبد الصمد

أنا موجوع. يدي تُشوى الآن فوق ماسورة الرشاش. لا أستطيع سلخها عنه، لا أعرف لماذا تسخن هذه الماسورة مثل قسطل المدخنة على سطح بيتنا هناك في ضيعتي "أم الزيتون"...

هناك، كنت أحشر جسدي الضئيل بين طيور الحمام المتكومة حول المدخنة أيام البرد، أنثر بين أقدامها بقايا طعامنا، وأفرح بوعد أمي أن الله لن يحرقنا لأننا لا نرمي بقايا الطعام في الزبالة.

لكنّ يدي الآن تحترق، ولا أعرف أين وقعت نظّارتي... نظارتي التي أبغض، والتي لا يبتعد زجاجها عن زجاج عيني إلا حين أركنها لصق مخدتي وأنام. اختفت عيناي خلف عدساتها السميكة منذ دخلتُ المدرسة، ومن يومها، وبعد أول عراكٍ لي مع رفاق الصف، صار لقبي: "أبو كزلك كعب الفنجان". نسي رفاقي اسمي في قيد النفوس، ثم شاركهم أخوتي وجيراننا وأقاربنا نسيانهم البليغ، وتضامنوا جميعهم على مناداتي: أبو كزلك كعب الفنجان... في صفي الثاني طبطب على كتفي أستاذنا اللطيف: أنت أغبى من جميع إخوتك. بل أنت أغبى طالبٍ رأيته في حياتي. صارت المدرسة نكبة حياتي الصغيرة. صرت أهيم في الطرقات إلى أن ألمح التلاميذ يخرجون من بوابتها عند الظهر، فأعود مثلهم إلى بيتي. حين وصل الخبر إلى أبي أخذني لأتعلم عند الكومجي، وعند النجار وعند الطيان، وعند الخباز؛ وخرجت مطروداً من عندهم جميعاً. قالوا لأبي: أبو كزلك كعب الفنجان لن يفلح في تعيير الدواليب ولا في تصفيف الأخشاب ولا في حفّ الصدأ عن الحديد، ولا في عدّ أرغفة الخبز... لم يعد أمام أبي سوى أن يأخذني إلى أرض كرومنا البعيدة. صرت أفيق مع الفجر أتلمّس نظارتي، أشتُمها ثم أبوسها وأرفعها إلى عيني، وأمضي لنكش الأرض... أرقب أصابعي كيف تكبر أو تصغر لو قرّبتها من عينيّ أو أبعدتها عنهما، أضحك قليلاً، أفزع قليلاً، ثم أعود إلى النكش، أو أتلهّى باستراق النظر إلى الفلاّحة الصغيرة التي تنكش الأرض مثلي في الكرم القريب، وتتطلع إليّ، ولا تبتسم. صارت روحي تزهر على مهلها... مرّةً مع نظرات جارتي، ومرةً مع المواسم،

وصارت نظارتي تتخن على مهلها بعد كل فحصٍ طبيّ.

آخر فحص لي كان منذ أيام، حين أكملتُ عامي الثامن عشر، وصرت أبصر: ١٠/١ في عيني اليمين، و١٠/٢ في الشمال، وتبلّغتُ للالتحاق بخدمة العلم. حملت هويّتي ووثيقتي الطبية ورحت إلى شعبة التجنيد. استلمتْها مني السيدة (النقيب في الجيش) التي ترضع ابنها خلف مكتبها العريض. قلت لها: اعفيني يا سيدتي الفاضلة، بموجب هذه الوثيقة، من خدمة العلم. قالت لي: أبعد وجهك الآن عن زجاج مكتبي، وخذ وثيقتك التي لن تنفعك، واستلم هويتك غداً من دمشق.

أنا لم أسافر يوماً إلى الشام. قضيت أعوامي على مهل ليس لي ما أستعجل الوصول إليه ولا الخروج منه؛ في دمشق أصعدوني إلى الباص المستعجل إلى إدلب. وفي إدلب أصعدوني إلى سيارة الزيل المستعجلة نحو القرى التي لم تعد خضراء، وأنزلوني عند حاجزٍ مع رشاشي الجديد، وتمنوا لي النصر على المسلحين. هناك لم ألحق أن أجوع أو أبرد. أقمت يومين قبل أن يطلّ المسلحون، ولا أعود أميّز من أين يأتي كل هذا الرصاص، ولا أعرف كيف أتلمس الزناد بسبابتي اليمنى، ولا كيف أصوّب نحوهم... رفعتُ يدي اليسرى، بالحركة التي فعلتها آلاف المرات لأضبط ارتكاز نظارتي على أنفي الكبير؛ فإذا بها ليست هناك. أنا لا أذكر متى ولا كيف طارت من قاعدتها الوحيدة، كيف خانتني، أو ربما دفعتها عني شظيةٌ آثمة... صار الأمام والخلف سواء، والضوء والدخان سواء، النور والنار سواء...

يدي تُشوى الآن في حرارة الأنبوب. لا أستطيع سلخها عنه، ولستُ متأكدا إن كنتُ أطلقت رصاصة أو خمساً أو أكثر، أو إن كانت أصبعي اهتدت إلى الزناد أم لم تهتدِ... أعرف فقط أنني الآن بائسٌ وموجوعٌ ووحيد: كيف صرتُ هنا ولم أودع أمي ولا أبي ولا إخوتي الأربعة الأذكى مني، ولا سور المدرسة الذي ظللت خارجه لأنني لم أعد أطيق أن أسمع كعب الفنجان ألف مرة أخرى... ولا الأرض التي أحببتها أكثر مما بغضت نظارتي، ولا أعرف إن كان هذا الحرق الشديد الألم في يدي جاءني من إخوتي على الحاجز أم من أعدائي المسلحين. أذكر أنهم في شعبة التجنيد قالوا لي: كلنا للوطن، عمياناً كنا أم مبصرين... يدي تحترق الآن كرمى للوطن، البقعة الحمراء على صدري فداءٌ لضيعتي أم الزيتون... ووطني الآن، هنا على الحاجز في إدلب، يعفيني من عذاب كعب الفنجان، من انتظار أن تبتسم لي يوماً ما تلك الفلاحة الصغيرة في الكرم القريب، من أن يخلط بصري الضعيف بين الأخوة الأصدقاء والأخوة الأعداء... هيه... أنت يا أخي القريب مني ابحث معي عن نظارتي. لو لقيتها؛ سأرفعها إلى عيني، وأعتذر منها، وأحدّق عبرها في صورة السماء، في صورة أهلي مبلولةً بدمي في جيب قميصي العسكري، ثم أمضي بسلام ألحق يدي المشوية لننام طويلاً هناك وسط الحمائم قرب المدخنة...

النار..

*** حسن البقالي**

النار «يا روح قوة النار اسمعي صوتي: ثمة إنسان يحرضك دون خوف» من أغنية لشعب البانتو لست مكتئباً عدت للتو من المكتبة حيث تركت قبل شهر، عشر نسخ من ديواني الأخير.. كانت المقاهي غاصة بالأجساد.. الأعين معلقة إلى الشاشات بحيث لا تفلت أية ركلة أو مراوغة أو هدف، والحناجر تتقصف بالآهات والهتاف والشتيمة. وخارج المقاهي في الشوارع والحقول والبيوت والحانات والمعامل والقطارات والشركات... نفس السحنات المشدودة إلى رائحة الخبز والإسمنت والأرداف والفلوس والغد الذي لا يطمئن إليه أحد. لا كتاب في الأفق وليس ما بي اكتئاباً.. بل سخط لا يحتمل. عدت للتو من المكتبة بالنسخ العشر التي تركت قبل شهر.. لم يعد الشعر ضرورة (يا ارنست فيشر).. لم يعد لوجودي معنى، فدعوني أيها المتلصصون.. دعوني أخطو سريعاً نحو الموت.

********** الحزام مشدود إلى الخصر.. القنينة تحت الجاكيت، وعلبة السجائر والولاعة في الجيب.. جهز نفسه جيداً.. وخرج. صادف متسولاً وعاهرة وماسح أحذية ومقدم حي ومجموعة شبان ساخطين وزوجين ينتميان إلى القرن الأول.. ولم يجد في كل ذلك ما يغريه بالبقاء. لم يقبّل ابنه ولم يخبر زوجته بشيء.. أوصى بهما نجمة هاربة ليلة أمس، ودبج قصيدة أخيرة بدت له (ضداً على أي توقع) أنشودة للفرح (فرح غير مبرر طبعا كما لو أنه نازح من زمن مضى أو زمن سيأتي) كانت قصيدة عن الموت جدارية للقاء الشاعر بالمواطن العادي.. خليل حاوي بالبوعزيزي.. لقاء اللحظة الأخيرة قبل القفز إلى نهر الأبدية. أسمى القصيدة «حياة» علقها على الحائط كوعد شعري وملغوم للعالم.. وجهز نفسه جيداً للخروج.. لم يقبل ابنه ولم يربت على كتف زوجته أو يغرق في عينيها عينيه خشية أن تتدلى إلى الداخل العميق وتنكش السخط المتفاقم كريش أزرق. الآن.. وهو يرى المتسول والعاهرة وماسح الأحذية ومقدم الحي والشبان الساخطين والزوجين المنتميين إلى القرن الأول والظلال الأخرى للمواطنين المهدودين، تحسس القنينة الهاجعة تحت الجاكيت، وداخله اعتقاد بأن هؤلاء جميعاً يحملون -مثله- قنينة تحت الثياب وولاعة مخبوءة. (لو نتفق على لحظة واحدة لحظة واحدة للاشتعال، فتصّاعد النيران ورائحة اللحم الآدمي إلى السماء السابعة كسيمفونية حمراء جميلة وملهمة.) توسط الساحة الصغيرة بمحاذاة النافورة (التي جفت منذ زمن ولم تعد نافورة إلا عرفاً)..

خلع الجاكيت، فبدا الحزام الذي يشد الوسط مزداناً بدواوينه الشعرية.. طبطب عليها فيما يشبه الاعتذار وقال: - علي وعلى شعري. سكب البنزين وقدح الولاعة.. وفيما كان يجهش بالموت الأليم وسط الفزع والذهول والصيحات مقصومة الظهر، استحضر بعضاً من قصيدة الأمس: (ما الذي حكاه البوعزيزي للنار حين شبت في الجسد؟ ما الذي حكته له قبل أن ينأى بنفسه بعيداً كي يتوسد ملح البلد؟) اضطجع بعدها على الأرض، وتكوم في وضع الجنين، حتى لم يعد يعرف إن كان يولد أو يموت.

* أديب مغربي

من قتل ماريا؟

ياسر الأطرش

أي شراكة ستجمعنا مع هؤلاء؟.. سؤال يطرحهُ شاهدٌ على المجزرة.. سؤالٌ واعٍ في لحظة لا وعي ربما.. إلا أن الموت المتكرر المختزن أنتج سؤالاً واقعياً صادماً، فهو غير موجّه للعدو (الأسد) بل لمن يدّعي الشراكة في الحياة والمستقبل والمصير..

ماذا سيقول أسعد إذاً؟.. وأيّ سؤال يمكن أن يطرح عندما يفيق من موته المؤجل، ليصحو على غياب ماريا وفراس.. ماذا ترك القاتل لأسعد كي يفاوض عليه؟ وكيف سيجرؤ منظّرو «الشراكة الوطنية» على مجرد النظر في عينيه؟..

الحرمُ الجامعي الذي اختار الرجلُ مجاورته ملاذاً يقي فراخه غدر الطائرات «جامعة إيبلا في سراقب»، لم يكن كافياً لإقناع القاتل أنَّ أطفالاً يمكثون هنا، لا غير.. حصدت الطائرة بهاء أرواح ماريا وصديقتها نور.. ولحق فراس بأخته ماريا بعد سويعات.. الثلاثة لو جمعنا أعمارهم لكان بعمر وردة..

وثّقت كاميرات الصحفيين المشهد، ورصده «المرصد السوري»، وأُلحق الثلاثة أرقاماً في سجلات المنظمات الدولية التي تجهد نفسها في توثيق موتنا، وطالب الائتلافُ الوطني الأممَ المتحدةَ مجدداً بفرض منطقة حظر جويّ.. كل هذا ولم يسأل أحد السؤال الحقيقي واللازم، إلا ذلك الشاهد... أي شراكة ستجمعنا ؟ . .

السؤال ينطوي على اتهامٍ لا مجال معه لقبول رد ولا دفاع، ولا حتى سماع مرافعة، إنه السؤال الجواب.. والمقصود به شريحة معروفة حاضرة أمام أعين كل من يصفعه السؤال..

الشريحة تضم عسكريين ومدنيين، حكاماً ومحكومين وإمّعات ومجبرين..... كلهم «سوريون»، وكلهم قاتل.. وإن صدقت أرقام انتخابات الأسد، فإن عشرة ملايين سوري شاركوا في قتل ماريا ورفاقها.. وإن لم تصدق (وهذا هو الأصدق) فإن كلَّ إصبع تلونت بحبر الأسد، كأنها ضغطت زناداً من حقد، وشرعنتْ قتل ماريا.. (إنَّ فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين).. وهنا يشير النص القرآني بجلاء إلى أنَّ (الجنود) متساوون في الخطيئة تماماً مع دعاة القتل وأربابه.. والذين بصموا لقاتل الأطفال إنما بصموا له وعاهدوه على المضي قدماً في انتهاك دم الأطفال واستباحته، بل ورقصوا على أنغام السكاكين تعلن الذبح موسيقا لم يعد غيرها كافياً لهز خصورهم..

لن يُشفع للموظف «المجبر»، ولا لمسافرٍ اضطره جواز سفره، ولا لمتّقٍ شراً..

في محكمة ماريا ورفاقها سيخجلون من دمها المراق على وجهها الطفل.. وهم كمن يسرق عمرها ليضيفه إلى أعمار أطفالهم، كما سرقوا من قبلُ مدرستها وكتبها ولعبتها لحساب أطفالهم..

الجدار أصبح أعلى وأمنعَ من أن يُرتقى، ولا تكفي الفؤوس التي هدمت جدار برلين لتنقبه، إنه جدار من دم.. رفعه «شركاء الوطن» في وجه مدّ البراءة القادم من جهة الحرية..

شاهد عيان على أحداث حماة في الثمانينيات من القرن الفائت، حكى كيف أمسك ضابط طفلاً على ضفة العاصي، وعندما أراد جندي أن يفلته، لوّح به الضابط في الهواء ورماه في عرض النهر قائلاً: عندما يكبر سيكون أنجس من أهله... وكذلك فعل ذابحو أطفال الحولة، وقتلة ماريا ورفاقها.. وكذلك يفعلون..

دعوة إلى الحب

صبحي دسوقي

قد يستغرب القارئ هذا العنوان ويستفزه، ويعف عن التعامل بحميمية معه وينصرف عنه إلى مشاغله وهمومه اليومية التي تعصف بكيانه، وقد يحرك شفتيه استهجاناً، متسائلاً في قرارة ذاته عن جدوى مثل هذه الدعوة وهو يلوب بحثاً عن احتياجات الحياة، منكسراً أمام وطأة الظروف ناسياً كل الرومانسيات التي لازمته في بداية حياته. وأدرك أنني كأي إنسان آخر أقف معزولاً ووحيداً أمام قسوة الحياة، شاهراً ما تبقى من قيم تربينا عليها، ومن مشاعر إنسانية صادقة أحرقت أعصابنا، وهزت وجداننا، فاستسلمنا لعذوبتها، واندفعنا بمشاعر فياضة نروم تغيير وجه العالم، وإعادة الإشراق إلى قسماته. لقد تربينا على الأخلاق والصدق والمروءة والوفاء، والتعامل مع الآخر بإيجابية، وكان الغدر نادراً تلك الأيام، وحتى وإن بدر من أشخاص فهم قلائل، يزدريهم المجتمع، ويعف عن التعامل معهم. لقد افتقدنا البساطة في تعاملنا مع الآخر، وبتنا نترقب حركة غدر منه، وأصبحنا متأكدين أننا أشبه بدريئة تنتظر من يصب سهامه وحقده عليها، وباتت لفظة الحب مستهجنة على من يذكرها في جلساته مع الآخرين، وينظرون إلى من يرددها ومن يجاهر بعشقه وكأنه كائن خرافي قادم من زمن آفل. وما عادت الأغاني الخالدة تؤجج المشاعر، وانتقلت الأحاسيس العذبة من الروح إلى الأقدام، وأضحت أغاني العصر على مقياس الأحذية وألوانها، وعلى أحدث الألبسة الفاضحة التي تكشف أكثر مما تخفي. أدري أننا نعيش ضمن ظروف مادية قاتلة، وأعرف أن الكثير من الأخطار تحيق بنا، لكنني على يقين مطلق أننا بالحب نستطيع أن نعيد للحياة بهجتها المفتقدة، وبالحب قادرون على مواجهة الأخطار ومهما كانت جسيمة. أنا هنا أدعو إلى التسامح وإلى عدم وأد الروح، وإفساح المجال لها كي تواصل انطلاقها ودورها في تلوين الحياة بألوان فرحة زاهية. قد تكون الحياة أكلاً وشراباً، وهموماً معاشة، لكنها أيضاً ليست بهذه القتامة والسوداوية، وعلينا أن ننظر إليها مجدداً بعيون حانية يملؤها الحب، فلا زالت العصافير والطيور ترسل زقزقتها وتغريدها، والأرض تتزين دائماً بالخضرة، والشمس تشرق كل صباح، وهناك دائماً أصدقاء وأحبة جدد بالانتظار فقط علينا أن نتلمس الطرق الصحيحة التي ستوصلنا إليهم وعندها ستصبح الحياة أكثر جمالاً مما نظن. وهناك الكثيرون الذين لا زالوا يتمسكون بالقيم والأخلاق، ويمتلكون القدرة في داخلهم على التعامل مع الحياة بشفافية وشغف، أقصد مع وجهها الآخر الأكثر إشراقاً. أقول أخيراً، أنه لا بديل عن الحب، رغم انكساراته وابتعاد أثره الإيجابي في حياتنا. وأقول دائماً إن الحب ليس ثوباً نقلع عن ارتدائه عندما نريد.

وأخيراً أوجه دعوتي مجدداً إليكم جميعاً، مع أمنية صغيرة هي أن تتشبثوا بما تبقى من حب في دواخلكم، وأن تطلقوا أرواحكم من أسرها، وأن تتحركوا باتجاه تعميم الحب، قبل أن تنجح الظروف المحيطة باغتيال ما تبقى من بريقه.

..... شهوة المفردات

منير محمد خلف

ألقي الكلام
على القواميس الفقيرة،
لم أجد برهان عشقي في مدائنها
ولم أسعف كلام القلب
من ذكراكِ
يا وجعاً تنفّسَ في دمي !
ألقي الكلامَ على المعاجم
إنها مسؤولة
عن كل تقصيري تجاهكِ،
لا تؤكّد أو تفسّر كنهَ معناىَ
العميق،
وشوقي الغافي على شفتيك،
لا تلقي سوى الأحزان
والذكرى عليّ،
.. أنا الغريب !

أقاسم الغرباء حسرتهم
أسوّر نبرتي الخرساءَ
أو صوتي العقيم
بكلّ ألواني وحالاتي،
وأنحت نظرة
أو نظرتين على المكان،
.. بأيّ حرفٍ
أبدأ العشق الغريبَ
وأختم القلب الجريحَ
بأيّ آلاء الكتابة أحتمي؟!

ألقي الكلام على معاجمهِ
وأشحن هاتفي القلبيّ
من رؤيا الحبيبة،
لا علامات القصائد

ترتمي في حضن قافيتي
ولا التعبير يلزمني،
سأنجز ما حوته الروح
في بضع من النظرات
أسكب خافقي
في موجة من مقلتيها
.....
أذكر الآن القصيدةَ
لم تكن فيها حروف الجرّ
رافعة يديها
كي تباركَ أحرفُ الجزم السكينةِ
في ندى الإيقاع
أو ترفو غيوم الحبِّ
في سجن اللغـــــة .

****

غريب الـــدار

غريب في أورفا

إبراهيم العلوش

امتدت الشوارع أمامي مباشرة، وفجأة فُرشت الحدائق عن يمين الشارع وعن يساره، ووجدت نفسي وحيداً وغريباً في أورفا!! أمشي بلا هدف، أنظر في كل الاتجاهات، مثل كل غريب في أي بلد غريب، وكنت حزيناً وضائعاً، لم أشأ أن أخرج دمعتي أمام حمائم أورفا، حافظت على اتزاني قليلاً أنا القادم من بلد القصف المدفعي والقصف الجوي.. خجلت أن تدمع عيناي أمام حمام أورفا!! ناداني الرصيف الطويل بلا نهاية إلى امتداداته البعيدة، مررت من أمام محل فتح بابه الزجاجي الأنيق، فجأة، فتدفقت علي برودته، انتعشت وتنفست الصعداء وسط حر أورفا التموزي الشديد!! انتبهت فجأة إلى أنني غريب، ولا يجوز لي الاستمتاع بهذه الدفقة الهوائية الباردة التي خرجت من المحل، هذه الدفقة تنادي زبائن المحل وتغريهم لينظروا قليلاً إلى بضائعه ومعروضاته الأنيقة وليست معنية بغريب ضائع في شوارع أورفا!! جلسنا في الشرفة المطلة على ميدان المدفع، كان المكان عالياً في الطابق السابع أو الثامن أو ما لا أعرف رقمه، وكانت أخبار الحرب تتدفق من تلفزيون قابع في زاوية الشرفة، كانوا يبثون أسماء الشهداء الجدد في الرقة، كان من الممكن أن أكون أحدهم لو بقيت هناك، لقد خرجت هارباً بجلدي وثيابي، كانوا يحددون نوع القصف الذي قتل كل شهيد، قصف بالطائرات الروسية أم بالهاون أم بالمدفعية، كانت الأسماء مفصلة مع اسم الأب والأم والعمر والمهنة والوضع العائلي، كان الموت مصحوباً بكل متطلبات التوثيق اللازمة لتجنب النسيان، النسيان المتربص بنا والذي يسخر من كل وثائقنا التي سيلتهمها بعد قليل أو بعد كثير من الزمن!! نظرت إلى بلاط ساحة المدفع الأصفر المنار بألوان مختلفة ومتلاحقة التغير، وددت لو ألقي بنفسي من الشرفة العالية التي لا أعرف رقم طابقها، إلى بلاط ساحة المدفع الناعم اللامع الممتد بأناقة، سوف استمتع بالهواء المتدفق وأنا أسقط إلى الأرض، سوف أتحرر من جاذبية هذه الكرة الأرضية التي تعذب بلادنا، وتعذب أرواحنا كل يوم وكل ساعة وكل لحظة!! لا فرق بين موت وموت، لا فرق بين ضياع وضياع، فأن نموت بالقصف المدفعي الثقيل أو الخفيف أو أن نموت بقطع الرؤوس في ساحة عامة، ويلعب الأولاد ببقايا أجسادنا ويتصور العابرون قربنا أو قرب بقايانا.. لا فرق.. لا فرق.. لا فرق!!!

السوري اليوم لا يستطيع الموت، فالموت فاكهة لذيذة لا يمتلكها، الموت اليوم أمنية بعيدة تنهي عذاباته، وتنهي آلامه، السوري اليوم يتعذب في المعتقلات ويتشهى فاكهة الموت الغالية!! السوري اليوم يتعذب في بيته، ويتعذب في طرق سفره وتشرده، ويتعذب في قوارب الموت التي تطعم أسماك البحر الأبيض المتوسط شهي اللحم السوري، وشهي الآمال والأحلام السورية، خيرة شباب ورجال ونساء سورية يتلوون ألماً وظمأً في عرض البحر الأسود المتوسط!! السوري اليوم لا يستطيع أن يقرر موته لا في المعتقلات ولا في الطرقات المتناثرة في الصحاري وفي الجبال.. ولا في البحار ولا حتى في المدن الغريبة!! أشرب فنجان القهوة وأنا ما أزال أطل على ساحة المدفع في أورفا، لا أسمع أحاديث الأصدقاء الذين جاؤوا قبلي إلى أورفا.. كنت مشغولاً بتقدير المسافة العمودية إلى بلاط الساحة، فقط كنت أتخيل الهواء الذي سيداعب وجهي وأنا أتساقط إلى الأرض الغريبة وترقرقت دمعتان في عيني حزناً على تخيلاتي اللذيذة!! أتناول كأس الماء البارد وأشربه وأنا أرفع رأسي إلى السماء، السماء الزرقاء الصافية.. كان حمام أورفا يتماوج هنا وهناك، حمام أورفا الذي كان يرفرف في سماء الرقة مذ كنا صغاراً، حمام أورفا كان يروح ويجيء مزيناً السماء بنقوش حركاته التي يطرزها فوقنا وهو يحرس سماء أورفا الممتد بلا نهاية!! كانت أسراب الحمام تتزاحم فوق الساحة... تقاطر الحمام فوقنا من كل الاتجاهات.. جاء الحمام فوق شرفتنا العالية، ترك سباته الليلي وجاء فزعاً يروح ويجيء فوقنا.. كأنه يريد أن يلتقطني وأنا أسقط من الشرفة العالية إلى ساحة المدفع.. إنه حمام أورفا تجمع فوقي ويتأهب لالتقاطي إن غادرت الشرفة هابطاً إلى ساحة المدفع الرخامية الناعمة... سيأخذني سرب الحمام معه، ويطوف بي السماء العالية المترامية الأطراف، وسيهبط بي إلى إحدى الحدائق الخضراء الجميلة لأحرسها مع السوريين المشردين فيها حتى الصباح!!!

على هامش المقبرة

المغيرة الهويدي

رفقاً يا وطنُ بالأمّهات !
وهناً على وهنٍ حملْنَنا
كبرنَ في ظلال النذور
وجفّ فراتُ الصّدر

ما عاد في العمر أكثر ممّا قد مضى
وهذا الرّحم المقدّس
أنجز السنّ القانونيّة بفخر الأمومة
علّقَ نياشين الصّبر على صدر الجدار
وما استقالْ...
لكنّه أبداً حزين !

-رفقاً يا وطنُ بالأمّهات !
كيف تجمع أبناءكَ إلى وثاقٍ
أبناءهنَّ !
اليدَ فوق اليد

الوجهَ قبالة الوجه
والرصّاصةُ في الفراغ...؟
تحفر الحفرة في الهواء
يشيع صوتُ الجسدِ في صمت انتظارهنّ
وفي البكاء
يناديْن...
ولا يجيب !

تخيّلْ !
تخيّلْ أكثر !
دعْ خيالك الفظّ يتعهّر
افتراضَ حديثٍ جريحٍ
دماً يسيل في الحفرة
يختلط في الهواء...
نظره
كلمةً لا تُقال

أباً يقابل ابنه لحظة الموت
وطناً يتراجع
فكرة !
يغصُّ الوطن بلقمة
يطلبُ هواءً وكأس ماء
يجفّفُ فمَه بمنديل القصيدة...
تنغلقُ الحفرة !

هل فكّرت وأنت تسدّد فاتورة الرّعب
كيف تقابل وجه أمّك في الصباح؟
كيف تنتظر الدّعاء ؟
الأمُّ هي الأمُّ
لكنْ
لا يصل الدّعاء !

رفقاً يا وطنُ بالأمّهات !

أعدْ أبناءهنّ من الهواء إلى شاهدات المقابر
إلى الآس في شمس الجنازة
إلى جزء «عمّ» صباح العيد
رفقاً
وترفّقْ
أناديكَ !
أعدّ أبناءكَ من موتٍ عابر
تناديكَ القصيدة
صوتاً إلى صوتي يئنُّ

انهضْ إليهنَّ
أعدْنا إلى خاتمة الحكاية
لا تسافر بنا !
يخفّ الحزنُ صدقني
يخفّ كثيراً
في زيارة الأمّهات للمقابر !

عوالمنا وعوالم الغرب

* أمير تاج السر

في زيارة لي إلى روما، بمناسبة تدشين النسخة الإيطالية من روايتي صائد اليرقات، التقيت بكثيرين من متابعي الثقافات المختلفة، بما فيها الثقافة العربية، منهم كاتب إيطالي من جيل الشباب، كان قد نشر روايتين من قبل رسختاه كاتباً معروفاً في بلاده إلى حد ما. أخبرني ذلك الكاتب أنه زار جزءاً من آسيا، ولم يزر بلاد العرب حتى الآن، لكن ما قرأه من كتب تراثية، وآداب كتبها العرب، وما شاهده من فنون نقشها فنانون منهم، في معارض مختلفة زارها، بهرته كثيراً، ويعلم الآن أن لدينا عوالم ساحرة ومدهشة، ويمكن أن نصنع إمبراطورية من الإدهاش الكتابي والفني، تماماً مثلما حدث لأمريكا اللاتينية، فقط لو وسعنا من ترجماتنا، وأوصلنا من يستحق أن يصل إلى متذوقين آخرين. وقد بات هو شخصياً يحسدنا على ذلك، ويتمنى لو امتلك تلك العوالم التي كانت ستضيف إلى كتابته.

ما قاله ذلك الكاتب يبدو جيداً بالفعل، وداعماً للروح المعنوية بشكل كبير، ولا بد أن هناك كتاباً آخرين من عالمه، يشاركونه نفس الرأي، وهذا في رأيي، بالضبط ما نبحث عنه حين نتوجه للآخر البعيد بآدابنا وفنوننا، عبر ترجمتها، بعيداً عن تقلبات السياسة، والتعب الاقتصادي، وأمزجة الأوطان المتقلبة في معظم الأحوال، وقد أنفقنا سنوات طويلة، نقلب في ثقافات الآخرين، نترجمها إلى لغتنا، ونختارها كلها لنقلدها أو نحذو حذوها من دون تفريق بما يلائمنا منها، وما لا يلائمنا.

وبالرغم من أن الكتابة بالتحديد، في البلاد الأوروبية وأمريكا، قالت كل ما عندها منذ زمن طويل، ولم يعد ثمة ما يدهش فيها، إلا أنها ما تزال ترد في تعليقات القراء عندنا، في مواقع القراءة المختلفة على الإنترنت، بوصفها فتوحات يعجز كتابنا عن بلوغها. هذا ما أسميه الانبهار الدائم بالغرب، وأن ما يصنعه جدير بالمرور إلى تذوقنا بكل هيبة وإجلال، وبصفتي من القراء المواظبين منذ زمن طويل، اطلعت على معظم الروايات التي اشتهرت في الغرب مؤخراً، لسبب أو لآخر، وكان معظمها كتابات نمطية، لم تزد إلى القديم المتراكم في ذهني، شيئاً جديداً، مثلا ثلاثية مليونيوم، للسويدي استيغ لارسن، التي بيع منها ملايين النسخ، وترجمت للعربية مؤخراً، ووجدتها صفحات طويلة من التداعيات الداخلية للشخوص، كان يمكن اختصارها كثيراً، ثم ليأتي هذا الكاتب الغربي ويحدثني صراحة عن عوالم مدهشة لدينا، يتمنى لو كان يملكها، ليجدد دماء كتابته.

وإمعاناً مني في ترسيخ تلك النظرة المفرحة للكاتب الغربي، توغلت في الأسئلة، عمن قرأ من كتابنا، وما الذي أدهشه حقيقة، واكتشفت بأنه قرأ بالطبع ألف ليلة وليلة، قرأ لنجيب محفوظ، والطيب صالح، وصنع الله إبراهيم، ويوسف زيدان ولي شخصياً، بجانب عدد كبير آخر من الكتاب العرب، والذي أدهشه، تلك الحياة اليومية، التي نعتبرها عادية لدينا، ولم يعتبرها كذلك، تلك الفنتازيا الغريبة، ولا تعد عندنا فنتازيا، وتلك الأمواج من الناس المطعونين بالتعب والعرق واللهاث، ويتوسلون الحياة، لتعتدل، بينما يراها الغربي زخماً فذاً لكتابة فذة.

وفي سؤالي له عن قارئه شخصياً، عرفت بأنه غير راض تماماً عن توزيع كتبه، ولم يزد توزيعها على ثلاثين أو أربعين ألف نسخة.

بالطبع هذا رقم أسطوري في بلادنا العربية، والكتاب الذي يوزع بتلك الأرقام، يعتبر ناجحاً جداً، وسيموت مؤلفه من الطرب، ولم يصل إلى هذا الرقم عندنا إلا قلائل، ولأسباب في معظمها لا تتعلق بالإبداع، أو الإجادة في الكتابة، وإنما لعوامل أخرى مختلفة، مثل أن يعلق رجل دين معروف على رواية ما، بوصفها تعدت على المقدسات، أو تمنع الرقابة في بلد عربي، دخول كتاب، ويصرخ المؤلف في كل مناسبة، بأن كتابه منع من العرض في تلك الدولة، وفي أحسن الأحوال، تكتب مقالات بلا عدد عن رواية معينة، حتى يختنق القارئ بتلك المقالات، ويضطر للبحث عن الرواية ليعرف ما بداخلها.

عرفت أيضاً في حواري مع الكاتب، إن القارئ الغربي، وهو قارئ متوفر ومتمرس إلى حد ما، يضع برنامجاً صلباً لقراءاته طوال العام، هذا البرنامج يشتمل على كتب ينتقيها عشوائياً، وكتب ينساق وراء سمعتها، أو سمعة كاتبها، أو لكاتب قرأ له من قبل وأعجبه أسلوبه، وسيسعى خلف جديدة في كل مرة، وكان نجاح الأمريكي دان براون في شيفرة دافنشي دافعاً كبيراً لمعظم القراء أن يسعوا لامتلاك رواياته اللاحقة، وما شاهدته في محطات المترو، والقطارات، والكافتيريات، بأن معظم من كانوا منكبين على القراءة، في لحظات الانتظار، كانوا يقرأون رواية الجحيم، آخر روايات دان براون، أو رواية أخرى صدرت حديثاً للأفغاني خالد حسيني، الذي يكتب بالإنجليزية، واشتهر كما هو معروف بروايته: عداء الطائرة الورقية. خالد حسيني هنا لا يكتب حياة الغرب المعروفة المكشوفة، ولكن يسترجع بذاكرته ما حدث لبلاده أيام حكم الطالبان، وهو يكتب تلك البهارات التي لا تتوفر إلا في العالم الثالث، واعتبرها الكاتب الإيطالي، عوالم مدهشة، ويبدو أن زمن الطالبان بالرغم من أنه شبه انقضى، وتعيش أفغانستان عصراً آخر، محاولة ترتيق جراحها، إلا أنه ما زال يغري بالكتابة، وأيضا بالتذوق لدى الذهنية الغربية.

ولأنني أحب زيارة المكتبات، حتى لو كانت تعرض سلعاً لا أفهمها، عرجت على مكتبة مانيادوري شارع إيمانويلي التجاري، في مدينة ميلانو، أو مركز مانيادوري، كما كتب عليه، وذهلت حين وجدتني أدخل ما وصفته بالحديقة، من شدة الجمال والسحر الموجود فيها، الكتاب كأنه زهرة، وقد رصت الكتب في نظام بديع، يتيح لكل فرع من فروع المعرفة، أن يتنفس بعمق، وأن يظهر وجهه السمح لقارئ ربما ينجذب أو يقع في غرام كتاب يشاهده لأول مرة، وقد كانت كتب الأدب تكتسي هذه الزينة نفسها، وتبتسم في وجوه القراء.

أخيراً أود أن أنوه إلى أن القارئ العربي، الذي كان متوفراً، إلى عهد قريب، لم يتخفف من غذاء القراءة باختياره، ولكن عوامل كثيرة وقاهرة، هشته بعيداً، فلا ازدهار للقراءة في زمن يمتلكه الفقر، واللهاث اليومي من أجل الحياة، وعدم الاستقرار في بلاد انتفضت، ولم تهدأ انتفاضاتها حتى الآن، هنا ثمة أولوية، نعتبرها تعباً مزمناً، ويعتبرها الكاتب الغربي، عوالم مبهرة، تؤدي لكتابة مبهرة.

* كاتب سوداني

نحن أنقياء.. وسنقوم بحرق كل شيء!

* شريف صالح

في فيلم Bug تعاني «آشلي جود ـ آجنيس» من ظهور حشرة صغيرة جداً في غرفتها، فيقنعها حبيبها «مايكل شانون ـ بيتر» بأن هذه الحشرة ما هي إلا أجهزة للاستخبارات تطارده، ويجلبان عدسة مكبرة لاكتشافها ويغلفان جميع أماكن الغرفة البائسة بقطع القصدير حتى لا تتمكن القوى المعادية من التقاط الإشارات التي تبثها تلك الحشرات التي تتكاثر بسرعة، بل وقاما بتقطيع أجزاء من جسمهما حيث توجد الحشرات!

ثم يأتي طبيب بالجيش ويحاول إقناع «آجنيس» أن «بيتر» مصاب باضطراب نفسي يسبب له هذه الحالة لكنها تعتبر أنها في «حرب طاحنة مع الحشرة اللعينة» وستنتصر عليها، ويقتل «بيتر» الطبيب كي يثبت لها أنه مجرد «آلة» للسيطرة عليهم، ثم يدور حوار بينهما بأن هناك مؤامرة كبرى تحاك ضدهما، وأفضل الحلول لمواجهتها هو الدمار الشامل وحرق كل شيء.

لنترك الجانب الواقعي و«الأكشن» للفيلم، ونفكر فيه باعتباره معادلاً لفكرة وجودية قد تلح على معظمنا. فنحن ابتداء أمام «فكرة مثالية» بالمعنى الأفلاطوني، أي «تصور متعال ومثالي» يؤمن به بطلا الفيلم تماماً، مثلما كان أفلاطون يؤمن بعالم المثل الذي تسعى الموجودات إلى التطابق معه. لكننا كمشاهدين ندرك بالطبع أن هذا التصور «مشوه» و«غير صحيح» واقعياً، ويدور في فلك الاضطراب النفسي، فلا يعقل أن توظف أجهزة الاستخبارات «حشرة بق» لمراقبة وتعذيب رجل وامرأة. لكن إيمان المرأة وحبيبها بهذا التصور، كان جنونياً ومطلقاً، حتى عندما وضع هذا الإيمان على أول محك عقلي.. ممثلاً في ظهور الطبيب، تم قتله والتخلص منه بطريقة دموية شرسة.

إن البطلين هنا ينتميان إلى تصورهما الهوسي لا إلى الواقع، ومستعدان لقتل أي شخص يزعزع ثقتهما وإيمانهما. ألا يستدعي ذلك حزمة مفاهيم جديرة بالتأمل، أولها «التعصب» أي عدم قبول الحق عند ظهور الدليل، وهو المفهوم الذي يتغذى دائماً على نظرية المؤامرة (الفيلم انتهى بنا إلى مؤامرة كونية)، وكل أشكال التمييز الديني والجنسي والطبقي والعرقي. فما التعصب إلا ذلك الإيمان المطلق بفكرة نقية تتعلق بالوطن/الدين/المذهب/القبيلة، لأن أي تهديد لأي منها، هو تهديد مباشر للذات، وأي انتقاص منها، هو انتقاص للذات، وجرحها في عمق نرجسيتها.

ولو وضعنا، على سبيل الافتراض «حشرة البق» بدلاً من مفاهيم الوطن، الدين، المذهب، القبيلة، سنفاجأ أن معظم الناس لن يتصرفوا بطريقة أفضل كثيراً من الطريقة المدمرة التي تصرفت بها «آجنيس» و«بيتر»، فالجميع مستعد لتقطيع جسده وقتل أي إنسان، وحرق كل شيء، على أن يسلم ببداهية أن «حشرة البق مجرد حشرة بق»!

وإذا كان التعصب يعني ذلك الانحياز المطلق والأعمى، ورفض أي نقاش عقلي، فإنه يتغذى كذلك على النظرية «التطهرية» Puritan التي راجت لدى بعض أتباع المذهب البروتستانتي ودعت الإنسان أن يكون سلوكه في الحياة مطابقاً تماماً لما ورد في الكتاب المقدس، ولا يقتصر على أداء العبادة في أيام معينة، بل يجب عليه تطبيق العبادة في الحياة كلها، وفي كل مجالاتها. هذه الفكرة التطهرية قائمة لدى أديان كثيرة، فهي تسعى بلا كلل من أجل أن يكون الإنسان مطابقاً للفكرة المثالية التي يؤمن بها.

تماماً مثل إيمان «آجنيس» وحبيبها، بنظرية «البق» التي استحوذت عليهما بشكل هوسي. بالطبع، يسهل تفنيد سوء الفكرة الهوسية في الفيلم، بينما يصعب تفنيد سوء الفكرة التطهرية بكل طوباويتها، في الواقع، رغم إدراكنا عقلياً باستحالة تطابق السلوك مع المثال! إن التصرف الجنوني المدمر الذي لجأ إليه بطلا الفيلم، بتدمير غرفتهما في الفندق، وحرق كل شيء، وقتل الشخص الوحيد العاقل الذي كان من الممكن أن يخرجهما من تلك المتاهة العبثية. لا يختلف كثيراً عما تفعله داعش، أو حتى هؤلاء المستميتين في الدفاع عن الأسد.. «البقة العظمى» بالنسبة لهم.. حتى لو أدى ذلك في النهاية إلى تدمير البلد وحرقها بالكامل وتسويتها بالأرض.

بل كلما كانت الفكرة «نقية» جداً، وغير قابلة للنقاش، طوباوية، وتطهرية، فهي تتشهى تعصباً عنيفاً ومطلقاً لا يقل عنها «نقاء»، ومؤامرة كونية «نقية» أيضاً. وهكذا تتجسد الفكرة في صورة «حشرة بق» خالدة، لا تفنى، ولا يمكن القضاء عليها، ولديها مئات الأتباع المستعدين للدفاع عنها حتى الموت.

من ثم فإن الإيمان التطهري الذي نراه في المبالغة في سلوك التدين، والتشدد في اللباس والوسوسة القهرية في علاقة الرجل والمرأة (لا تختلف كثيراً عن علاقة بطلي الفيلم) هو صنو عبادة «وثن» الوطن، حقاً أو إدعاء، في الأغاني والخطب والشعارات الرنانة، وعبادة «القبيلة» والاستماتة في الدفاع عنها على حساب الدولة ذاتها، وعبادة أي «أيديولوجيا» لا تخضع ذاتها للمراجعة والمساءلة والنقد العقلاني.

قد لا تبدو تلك المقارنة موفقة، فإيمان «آجنيس» و«بيتر» بالبق، مشوه وسلبي ومرضي، وهو يختلف عادة عن إيمان الناس بالدين، والوطن، والقبيلة، والزعيم. لأنه إيمان إيجابي. ولكي أسلم، بمثل هذا الفرق الجوهري، يتطلب الأمر مراجعة لذلك التصور الإيماني وتجلياته، فعندما ينتهي تطور الجماعات الإسلامية إلى «داعش» يصبح ذلك الإيمان موضع مساءلة جذرية، وعندما ينتهي السوريون إلى تدمير وطنهم من أجل «بقاء الزعيم» يصبح ذلك الإيمان بالزعيم، بحاجة إلى مراجعة.

وعلى الأرجح فإن عامة الناس، لا يؤسسون قناعاتهم وإيمانهم، على اختيار حر، واع، وعقلاني، ولا حتى على تعزيز قيم إيجابية تضمن الشراكة مع المختلفين عنهم، بل يسعون بلا كلل إلى ضمان «النقاء» المطلق للفكرة الإيمانية الاستحواذية، والنقاء المطلق للممارسات المترتبة عليها، كمعادل لصورتهم «النقية» عن ذواتهم. فهل فعلت «آجنيس» و«بيتر» غير ذلك؟

وما لا نود الاعتراف به، أننا في معظم صور الإيمان، بالدين/الوطن/المذهب/ القبيلة، نصر، ضماناً لنقاء الفكرة، على تجاوز تناقضاتها، تناقض المثال والتطبيق، أو ذلك الانشغال بالجدل البيزنطي «البيضة أم الدجاجة؟» بينما الحرب على أشدها!

بل ويتطلب منا هذا الإيمان، باستمرار، خلق عدو، والاستعداد الأزلي لمحاربته، على طريقة رواية دينو بوتزاتي الرائعة «صحراء التتار» حيث أفنى جنود الحصن أعمارهم في انتظار عدو لا يجيء! مثلما أفنى بطلا الفيلم حياتهما في محاربة الفكرة «النقية» لحشرة «البق»! هنا لا فرق بين عبثية الدفاع عن الفكرة، ومحاربتها!

فباستمرار، نحن نضع العقل في خصومة وقطيعة، مع ذلك الإيمان النقي ـ رغم أنه شرطه الجوهري ـ حتى لا يتأثر نقاء الإيمان، بأي دليل عقلي يزعزعه. دون أن ننتبه، إلى أن إخراج العقل، من معادلة الإيمان، يحوله إلى «وسواس قهري»، فما الوسواس إلا ذلك الإيمان بفكرة معينة تلازم المريض وتلح عليه وتطارده، حتى لو شعر بأنها «سخيفة» و«غير منطقية» لا يستطيع الفكاك أو تحرير وعيه منها.

هل كانت «آجنيس» وحبيبها، يعانيان من الوسواس القهري؟ بالتأكيد! فهما كان مستلبان لفكرة نقية ومشوهة، مثل معظم الدواعش المؤدلجين حولنا.

كيف يكون الإيمان بالدين والوطن مطابقاً لإيمان بطلي الفيلم بالمؤامرة الكونية ل «البق» بينما نفس هذا الإيمان في ثقافات أخرى، يخلق مجتمعاً متماسكاً وإيجابياً؟

بالتأكيد إخراج العقل من معادلة الإيمان، يجعله حالة فاشية، تطهرية، وسواسية. وأيضاً النتائج المادية التي تترتب على ممارساتنا لذلك الإيمان تكشف طبيعته، فإقدام داعش على ذبح وتهجير الآلاف يعني أن إيمانهم حالة مرضية، مثلما إيمان البعض بالزعيم حين يفضي إلى تدمير تام للوطن، هو حالة مرضية. إضافة إلى ذلك العجز عن مد جسور تضيف قوة وترابطاً إلى تلك الدوائر التي نتحرك فيها، مثلما أدرك الأوروبيون ذلك فأنشأوا من القبائل المتحاربة إقطاعيات ثم دولة قومية، ثم اتحاداً كبيراً، يقنن الصراعات، ويعزز جسور التماسك، ويحترم مساحات الاختلاف.

أما نحن، وفي معظم ممارستنا، فإننا نحول تلك الدوائر التي نوجد فيها، إلى علاقات صراعية وتدميرية.. تفكك كل شيء.. إلى متاهة عبثية، وحرب مدمرة على كل المستويات.. عداء مطلق مع الآخر المختلف معنا في المذهب والعرق والقبيلة.. وإلحاح وسواسي تطهري دائم على «النقاء» وتأكيد الفوارق الاستعلائية بيننا وبين ذلك الآخر المختلف.

وهكذا نظل في صراع أبدي دفاعاً عن تلك «البقة» النقية التي تعشش في رؤوسنا.

* كاتب مصري

أنماط الرواية السياسية

* سيد الوكيل

«الثوار زحفوا طويلاً، زحفوا من الواقع،
مثلما زحفوا من قلب الروايات، ومن كتب التاريخ والفلسفة،
ومن النكات والمُلح، وكتب الفكر والكتب المقدّسة،
ومثلما زحفوا أيضاً من المقابر والغرز والعشوائيّات»(١).
شهلا العجيلي
أكاديمية سورية

يُفهم الأدب السياسي في الغرب، على أنه ذلك الأدب الذي يتخذ من جدلية العلاقة بين الحاكم والمحكوم موضوعاً له، مع التأكيد على أن هذه العلاقة تتجلى في موضوعات شتى، تشتبك بالواقع السياسي مثل: القضايا التي تتعلق بالفساد السياسي والممارسات الحزبية، وحقوق المواطنة والحق في العمل، وغير ذلك من الموضوعات التي تدخل في صميم العلاقة بين الإدارة السياسية للدولة والمواطن. وهي بطبيعة الحال، قد قطعت شوطاً كبيراً في نظمها الديموقراطية، وتعبر عن نفسها خلال قنوات قانونية مثل صناديق الانتخابات أو من خلال برامج الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني. لذلك، فإن الحاجة للأدب السياسي، ليست ملحة بوصفها فناً أدبياً يعبر عن واقع مأزوم سياسياً، بقدر ما هي قناة مضافة للتعبير عن الرأي في نمط العلاقة بين الحاكم والمحكوم. كما يمكن تحديده في أطر فنية بسيطة على نحو ما يذهب الناقد الأمريكي (جوزيف بلونتر)»*»، حيث يرى أن الأدب السياسي لابد أن يتخلص من تقنيات الأقنعة مثل: الرمز والإسقاط، ليكون أقرب إلى المباشرة. وتعتبر السخرية والكشف عن المفارقات اللاذعة ضرورات فنية تستهدف القارئ وتحريضه. بهذا المعنى، فإن الأدب السياسي ـ في الغرب ـ يحدد ملامحه ويعرف نفسه على نحو مستقل، كما يحدد وظيفته على نحو واضح، إنها: استهداف الجمهور وتحريكه، بمعنى أنه يتجاوز التحفيز واستنهاض الوعي إلى التحريك لحيز الفعل.. إنه أدب تحريضي بكل مواصفات الدعاية والتحريض.

غير أن حال الواقع السياسي ـ العربي ـ يختلف اختلافاً جذرياً، نظراً لوطأة طرائق المراقبة وأساليب القمع فضلاً عن غياب الشفافية، ونتيجة لهذا الوضع بدا الحراك السياسي ـ نفسه ـ أكثر التباساً واشتباكاً مع واقع الحياة اليومية ومن ثم أكثر تعقيداً في رؤية الكاتب الروائي له، سواء من حيث العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أو من حيث تأثير هذه العلاقة على الحراك المجتمعي في أبسط صورة الإنسانية، بل في نثريات الحياة اليومية. حتى أن العلاقات العاطفية تبدو شديدة الاشتباك بالواقع السياسي على نحو ما نجده في مجمل كتابات بهاء طاهر فالأنثى تحضر بوصفها رمزاً لوطن مستحيل، محبط ومنفي (قالت ضحى ـ الحب في المنفى..). وفشل العلاقات العاطفية والإخفاقات الجنسية يتحولان ـ في كثير من الأعمال الأدبية ـ إلى رمز يعكس أزمة المثقف العربي واغترابه، وقد جسدت أعمال إبراهيم صموئيل هذا المعنى كما نجد في قصة (المقبرة) من مجموعة (رائحة الخطو الثقيل)»٢»، فالمناضل السياسي مؤرق بملاحقات أمنية طوال الوقت، ولكنه ـ في نهاية الأمر ـ إنسان، له احتياجاته الطبيعية، وكانت أزمة بطل هذه القصة، هو البحث عن مكان آمن، يلتقي فيه حبيبته بعيداً عن عيون الرقباء، لحظة يخلع فيها ثوب المناضل ليكون إنساناً فحسب، فالعسس في كل مكان والخوف يملأ الشوارع والبيوت. يفكر في الاختباء داخل مقبرة مع حبيبته، لكن المقبرة مكان لا يصلح إلا للموت. هكذا تصبح الحياة.. مجرد الحياة الطبيعية أمراً مستحيلاً في وطن تستبد به طرائق القمع السياسي. وهذا المعنى يتكرر في صور شتى، حينما يصبح جسد المرأة مرادفاً للوطن، إنه الوطن المستحيل أحياناً، وفي أحيان أخرى، هو الوطن المغتصب والمنتهك.

يمكننا، في سياق المقارنة بين الأدب السياسي في مفهومه الغربي، والممارسة العربية له، أن نتفهم وجه نظر (آلان روجرز)»٣» عن شحوب الأدب السياسي في الثقافة العربية، مفسراً ذلك بغلبة أشكال النفي والحصار والمطاردة، بل وتقطيع الأرزاق التي تمارس على الكاتب العربي، حتى أن كاتباً مثل (حنا مينا) يضطر للعمل مرة حلاقاً وأخرى حمالاً ليتكسب قوت يومه.

لقد تفهم (روجرز) أسباب شحوب الأدب السياسي على نحو ما يفهمه ناقد أمريكي، لكنه، لم يدرك حجم الحضور المراوغ والملتبس للمعنى السياسي في الأدب العربي. حتى أصبح حاضراً بين السطور وبصفة شبه دائمة في كل نص. وإلى هذا المعنى تشير الناقدة (فريدة النقاش)»٤»: إلى نوعين من الهجرة يُدفع الكاتب إليهما قسراً، الهجرة خارج الوطن، والهجرة داخل الذات في آلاف من الأقنعة ومن الأسماء المستعارة، والمخابئ المجازية والعزلة الإجبارية عن الجماهير، التي هي بمثابة المنبع الحقيقي لمادة الأدب السياسي.

وقد حدد الباحث الفلسطيني (إبراهيم طه) «٥» أنماط الخطاب السياسي في ثلاث علاقات، تمثل كل علاقة طرفي صراع على النحو التالي:

١ـ نمط العلاقة بين الحاكم والمحكوم (الشّعب والسّلطة).

من حيث اهتمام الكاتب بفضح أنظمة الحكم، وممارساتها القمعية من اعتقال ونفي وتعذيب، ويكفي الإشارة إلى أن شيوع هذا النمط، أكسب الأدب السياسي تصنيفات أكثر خصوصية مثل: أدب المنافي وأدب السجون. والرواية التي تتعرض لنمط العلاقة بين الحاكم والمحكوم تلجأ عادة إلى أساليب وتقنيات غير مباشرة في تسريب خطابها إلى القارئ، فرواية (الزيني بركات) لجمال الغيطاني، تقدم نفسها بوصفها رواية تاريخية، مستوحاة من وقائع حقيقية جرت في الفترة قبيل سقوط دولة المماليك في قبضة الدولة العثمانية، تلك التي تولى فيها (بركات بن موسى) منصب والي الحسبة. تتعرض الرواية لأشكال الفساد السياسي في تلك الفترة. وعبر الإسقاط يدرك القارئ التناص الواضح بين الواقعين: التاريخي والآني.

٢ـ نمط العلاقة بين الأمّة والاستعمار.

حيث يظهر موضوع العلاقة بين الشرق والغرب على خلفية استعمارية، لفضح أطماع الغرب وأساليبه في الاستحواذ على مقدرات الشعوب. وتمثل (موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح، منعطفاً هاماً في مسار هذا النمط، حتى أنها اعتبرت نموذجاً عالمياً لرواية (ما بعد الاستعمار) وأسست لفرع جديد، في مجال النقد الثقافي.

أما رواية (إيميلات تالي الليل) «٦» وهي رواية مشتركة بين: الروائي المصري (إبراهيم جاد) والكاتبة العراقية (كلشان البياتي)، حيث استعارت الرواية أسلوب المحادثات في غرف الدردشة على صفحات الإنترنت. فالرواية كلها عبارة من محادثات متبادلة بين شاب مصري (حسن) وفتاة عراقية (منار) والرواية على هذا النحو التفاعلي تنقل همومها وقضاياها السياسية إلى الفضاء السياسي العربي كله، وإنْ تمركزت حول غزو قوات التحالف للعراق. بما يعكس اتساع وعي المبدع العربي بتعقد الموضوع السياسي، نتيجة لتعقد المصالح السياسية وتشابكها في ظل سياسات العولمة وأساليب الهيمنة الجديدة التي لم تعد تطال المواطن العادي في نمط معيشته الاقتصادية فحسب، وإنما أثرت ـ إلى حد كبير ـ في نمط الثقافة التي يعتبرها المثقف خطاً أحمر وأخيراً لمقاومة الهيمنة الاستعمارية. ومن ثم يمكن القول: إن هذه الرواية، حققت تغذية جديدة للرواية السياسية مستفيدة من النمط التفاعلي الذي ميز برامج التواصل الاجتماعي على شبكة الإنترنت.

٣ـ نمط العلاقة بين الفرد والمجتمع.

وهو النمط الأكثر شيوعاً إنه يعكس صراع طبقات المجتمع وطوائفه، وهيمنة رأس المال وانتشار الفساد في مؤسسات الدولة، وهذا النمط يتجلى في الرواية الاجتماعية على نحو بارز، ويتداخل في مفاصلها كافة، بحيث لا يمكن الفصل بين ما هو سياسي وما هو اجتماعي

وتوقفنا رواية (حمار بين الأغاني) «٧» للكاتب اليمني (وجدي الأهدل) على نموذج ناضج لهذا النمط. فالكاتب يسرد لنا حكاية لثلاث نساء (ثائرة وزينب وأروى)، وهن نماذج مختارة بعناية للمرأة اليمنية الحديثة التي امتلكت وعيها بذاتها بفضل التعليم. لكن هذا يضعها في مواجهة عنيفة مع الأزمات العتيقة للمجتمع. ومن خلال حكايات النساء يظهر البعد السياسي لأزمات المجتمع اليمني، متمثلة في الصراعات الحزبية والقبلية التي تنتهي بالحرب بين الشمال والجنوب، ومن ناحية أخرى بممارسات سلطوية لرجال الشرطة، فضابط الشرطة يتعمد لصق التهم بالمواطنين، ويقوم بإعدامهم بعد حبك سيناريوهات مضللة ينشرها على الناس، مستغلاً الجهل والنزعات الذكورية والعصبيات القبلية العمياء للمجتمع. فيما نكتشف أن ضابط الشرطة متورط بنفسه في حوادث القتل التي أقام الحدود بشأنها. كما تعرض الرواية لممارسات التيارات الظلامية والممارسات الإرهابية للإسلام السياسي، وهكذا يصبح الإسلام السياسي، نمطا جديدا في الرواية السياسية، ويمكن رصده على نحو أوسع بعد ما أطلق عليه: الربيع العربي.

* ناقد وروائي مصري

هوامش..

١ـ شهلا العجيلي: أطباق طائرة ـ مقال عن ثورة ٢٥يناير ـ بجريدة الثورة السورية ـ عدد ٢٠١١/٢/١٥
٢ـ إبراهيم صموئيل: رائحة الخطو الثقيل ـ دار الجندي للنشر ـ القدس ـ ١٩٨٨
٣ـ ألان روجرز ـ الرواية العربية ـ ترجمة حصة إبراهيم المنيف ـ المجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٩٨.
٤ـ السابق.
٥ـ إبراهيم طه ـ الأدب والسياسة ـ مادّة محاضرات ـ جامعة حيفا ـ كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ـ قسم اللغة العربيّة ـ العام الدّراسيّ: ٢٠١٠
٦ـ إبراهيم جاد الله وكلشان البياتي: إيميلات تالي الليل ـ دار إيزيس للإبداع والثقافة ـ المحلة ـ ٢٠١١
٧ـ وجدي الأهدل ـ حمار بين الأغاني ـ سلسلة آفاق عربية، الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ القاهرة ـ ٢٠١٠

قوس قزح

بلاغة الموت

أسعد فخري

لاغلواءَ إنْ صنّفْنا موتَنا الجليل في مقامه المسعور، ولا غلواءَ أيضاً إنْ عمّدْنا ضمائر الكون بدمائنا، بَيْدَ أنّ ما حُقّ لنا لا يحقّ لغيرنا، نحن – السوريّين - أردنا كرامتنا، وجلالاً فعلنا، وما زلنا نقارعُ الموت بحلمٍ جميل.

سيكون لنا وَقْعَ فَرادة الاصطفاء، وبهرج النهلِ من حرائقنا لسان الريح حين تَعصف أسماءُ الحقائقِ الموصوفةِ بدمِ الأبرياء والقتل والتشريد، غرائزَ وحشيّة في بلاغة الموت، أرادوها فكانت لهم الصوغَ الأكثرَ إيلاماً للحجر والبشرِ السوريّين.

هم رُعاةُ الليل، خانوا مالا يُخان، وترفُ القتل بين أصابعهم كزُناةِ الظلمة، وخنازيرِ الحظيرة الخلفيّة لمباهجِ إرثهم المعتّق بخمرة الحقدِ الدفين، مئات السنين مرّت، والغلّ مثواه قلوبهم الآبقة، بَيدَ أنّ ما جرى ويجري، فاقَ الخيال، وأوْغلَ في الحقيقة حتّى آخرها.

لا ضيرَ إنْ أصبح الخيالُ حقيقةً بعدما فعلوا ويفعلون، بعدما قتلوا ويقتلون، ولا ضيرَ أبداً إنْ تَنحّتْ خيالاتُ الفنونِ جميعها عن عليّة الحَصافةِ والبلاغة أمام الحقيقةِ على الأرض السوريّة، فما عادتِ ممرّاتُ الخيالِ الوعِرةُ في الفنون تَعنينا بعدَ الآن، على الرغم من براعةِ صُوَرِها، ولا عادَ المجازُ فيها يتدبّرُ أمرَ عقولِنا التي غرقتْ في الصدمة حَدّ الذهول.

لابدّ أنّ القادمَ من سُننٍ ومعاييرَ للأدبِ والفن، سيفتح البابَ على مصراعيه أمام خيالاتٍ أخرى ومجازٍ وتأويلٍ آخرَين غير الذي عرفْناه في الرواية والقصّةِ والشعرِ وكلِّ الفنون، جميعها بلا استثناءٍ، صار لزوماً على الفنون الحريفة بأبعادها الإنسانيّة أنْ تبحثَ عن ملاذٍ آمنٍ لبراعِ خيالاتِها وحقائقِها، وأنْ تجدّدَ في أدواتها ومكنونِ خطاباتها.

بعد الدمِ السوريّ لا أبوابَ مُوارِبةٌ، بعد الآن لاشيءَ خلفَ البابِ، ولا شيءَ تحت الطاولة، ما جرى من تنكيلٍ، وإهانةٍ، وقتل، ونهب، وسلب، وتشريد، وهَتْكِ أعراضٍ، أجازَ للحقيقة أن تُلحِدَ بيديها المضرّجتين بدمائنا خيالاتِ الفنونِ، وبهرجَ معانيها، وعمقَ صُوَرِها، وفِتْنةَ سُرودِها.

آنَ لنا أن نقولَ ما كان مجازاً أو خيالاتٍ عَصيّةً أو تأويلاً، قد أصبحَ الحقيقةَ ذاتَها، لِذا لابدّ من معاييرَ جديدةٍ تُنضِجُ آليّاتِ خيالٍ مختلِفٍ، ومَجازٍ وتأويلٍ جديدين.

لا شُروحاتٍ كُبرى، ولا شروحاتٍ صُغرى بعد هذا الطوفانِ من أفانينِ القَتْلِ والموت المعجّلِ، في الوقتِ الذي صارَ باهِتاً مواءُ قِططِ زَنازين (عبد الرحمن منيف) في شرقَيه المتوسّطين، أوّلِه وثانيه، وأنّ ما جرى في مُعتقلات النظامِ السوريّ، كان أكبرَ وأقسى بكثيرٍ من تَصاويرِه ووصفِه اللّاذِعَين، وبَراعةِ وقْعِهما في العقل والضميرِ الإنسانِيَّين.

أيّاً كان النشيدُ في (تلك الرائحةِ ـ وشَرَف) التي أشاعَهما (صنع الله إبراهيم) عن أوكارِ السجونِ المصريّةِ، وأرادَها لَمْعاً يَبترقُ في الليل الحالِكِ في كلّ سُجون الدكتاتوريّات العربيّة، فإنّها لا تساوي بعضاً ممّا أجازَتْه سُجونُ العصابةِ، ووثّقَتْ مَفاعيلَه خمسون ألفَ صورةٍ لِحالةِ التّمويتِ والاضطهادِ التي لاقاها أحرارُ الكرامةِ في سجونِها ومُعتقلاتِها، لا بَلْ إنّها كانتْ كافيةً لِنسفِ مَناظير (السجنِ في الرواية العربيّةِ)، والتنظيراتِ البهيجةِ التي اشتغلَتْ عليها النّقودُ الأدبيّةُ طيلةَ نصفِ قرنٍ مروراً بـ(العينِ ذاتِ الجفنِ المعدنيّ) لشريف حتاتة المصريّ. حتّى (القَوقعة) لمصطفى خليفة تَنَحّتْ، ورفعَتْ قُبّعتَها حانيةً أمام أفانينِ التعذيبِ والتمويت الممنهجِ لآلة القتلِ في سجون النظامِ العاهر.

كثيراً ما كان الوقْعُ على أشدّه حينَ أثقلْنا رؤوسَنا ببلاغةِ التعذيبِ والقهر في حكاية (بالخلاص يا شباب) لياسين الحاج صالح، أو ما ذهبَ في ترتيلِه الماغوطُ طويلاً بلسان عُصفورِه الأحدبِ، حتّى (العتمة الباهرة) للطاهر بن جلّون، وغيرِها الكثير من الأعمال السرديّة، لم تَعُدْ تَعنيني كما الأُخرَيات، رسوماً للدهرِ وزَلزَلَةً لضمائرِ الأممِ عبرَ العصور.

ما كرّسَتْه الفنونُ العربيّة عن (السجن) وأهوالِه، وعن شُحّ الضمائرِ وخرابِ البُعد الإنسانيّ، باتَ حفيفَ شجرةٍ وطيئةٍ، أمامَ هولِ القتلِ البليغ ومراثي التعذيبِ الكبرى، وصار من الأفْوَدِ لكلّ الفنونِ أنْ تُعيدَ النظرَ بأحوالِ المأساةِ الإنسانيّة التي اشتغلَتْ عليها ردْحاً من الزمن، وتنظرَ بعين مُتقرّيةٍ بنكَ الدمِ السوريّ الذي انداحَ على الأرضِين كوردةِ النُّعمانِ بَوّاحةً بأسرارِ الهزيعِ الأخير من الظُلمات.

لو حضر العقل..!

مازن العليوي

يـوم تمـرد قائـد سرايـا الدفـاع عـلى شـقيقه الرئيـس في ثمانينـات القـرن العشريـن، لم يتخـذ الأخـير قـراراً بالحـرب، وآثـر اسـتخدام العقـل فتـصرف بهـدوء، وأخـرج شـقيقه مـن البـلاد مـزوداً إيـاه بمبالـغ طائلـة، ثـم أمـر بتفكيـك سرايـا الدفـاع الموالية حتـى العظـم لخصمـه الشـقيق، لينقـذ النظـام بذلـك مـن أزمـة كانـت سـوف تطيـح بـه. ويـوم أعلنـت تركيـا في تسـعينات القـرن العشرين مـشروعَ حـرب عـلى بـلاده مطالبـة بـرأس زعيـم عرقيـة معارضـة فضّـل الرئيـس ذاتـه اسـتخدام العقـل بـدل «عنتريـات» أكـبر مـن طاقتـه، فتخلـى عـن حمايـة الزعيـم المعـارض بـكل هـدوء ضمـن طريقـة مدروسـة في مقدمتهـا إخراجـه مـن البـلاد، ليظهـر كأنـه لم يفعـل ذلـك، فحفـظ مـاء وجهـه أمـام تلـك المعارضـة مـن جهـة، وأنقـذ الشـعب مـن معركـة لا مصلحـة لـه فيهـا مـن جهـة أخـرى.

بعيـداً عـن شرعيـة النظـام الحاكـم وطريقـة إدارتـه للدولـة آنـذاك، ففـي المثالـين السـابقين حـضر العقـل، لتكـون الأولويـة للتهدئـة وليـس العنـف، وحقـن الدمـاء بـدل نزفهـا، وعـدم التوغـل في متاهـات لا أحـد يعـرف نهايتهـا.. والسـبب أن رأس النظـام أدرك أن سر معادلـة الاسـتمرار يتلخـص بالاسـتقرار وعـدم تـرك مجـال – كيفـما كان - لخلـق بـذرة فـوضى قـد تنمـو وتهـدم نظامـاً بنـاه عـبر عقـود.. وأعـدّ ابنـه لوراثتـه فيـه ممهـداً لـه مختلـف السـبل ومُزيحـاً مـن يمكـن لهـم أن يشـكلوا قـوة مناهضـة للوريـث. مشـكلة الوريـث أنـه لم يأخـذ الوقـت الـكافي ليتعلـم سر تلـك المعادلـة مـن والـده، أو أن قدراتـه أقـل مـن فهـم المعادلـة، أو أنـه أضعـف مـن أن يتخـذ قـراراً فردياً عـلى عكـس أبيـه، فيخضـع لإمـلاءات مـن أشرفـوا سراً عـلى سـيناريو تنصيبـه وتلاحقـت بذلـك مكاسـبهم مـن وجودهـم في مركـز القـرار.. ولذلـك لم يحـضر العقـل لـدى الرئيـس الوريـث ورجالاتـه عنـد انـدلاع الـشرارة في درعـا عـام ٢٠١١، فلـم يفطـن – ولعلـه كان عاجـزاً – إلى أنـه لـو صنـع مسرحيـة فعَـل فيهـا مـع ابـن خالتـه المسـؤول الأمنـي المتسـبب في الأزمـة كـما فعـل أبـوه مـع شـقيقه، لمـا أنهـى الأزمـة في مهدهـا فحسـب، بـل كان سـوف يكسـب مزيـداً مـن تأييـد الشـعب لحرصـه عـلى عـدم المسـاس بكرامتـه حتـى لـو كان مـن أقـرب أقاربـه. ولأن شـيئاً مـن ذلـك لم يحـدث، ولأن العقـل لم يحـضر، واسـتعاض عنـه قـادة البلـد - الذيـن يفـترض أنهـم حكـماء - بالفكـر القمعـي محاولـين إقنـاع ذواتهـم بـأن سـورية لا تشـبه تونـس أو ليبيـا أو مصـر.. مـا يعنـي أنهـم عـلى الرغـم مـن كل مـا شـاهدوه مـن أحـداث عربيـة انطلقـت منـذ نهايـة العـام ٢٠١٠ لم يتعظـوا ويأخـذوا العـبرة، وإنمـا ظلـوا مصريـن عـلى أنهـم قـادرون عـلى متابعـة السـيطرة عـلى الحكـم بالطريقـة القديمـة ذاتهـا.. فاتسـعت مسـاحات الاضطرابـات أكـثر، وكـما غـاب العقـل في البدايـة فقـد غـاب هنـا أيضـاً، وبـدأ الفكـر الأمنـي البديـل يعـد اختراعاتـه ومصطلحاتـه باحثـاً عـن منافـذ للضغـط كي يظهـر سـلاحٌ مـا لـدى النـاس يـبرر للنظـام مـا يفعلـه مـن ممارسـات غـير إنسـانية، ومـع تزايـد الضغـط ظهـر السـلاح فعـلاً، وظهـرت التنظيـمات الأصوليـة التـي كان النظـام يتخيلهـا ليخيـف الآخريـن فصـارت واقعـاً.. وضاعـت البلـد وضـاع الشـعب. لـو حـضر العقـل بعـد كل خطـة فاشـلة لاحتـواء الأزمـة لتـم التوجـه إلى الاحتـواء الحقيقـي، غـير أن العقـل دائمـاً وأبـداً كان هـو الغائـب، حتـى عـلى المسـتوى الخارجـي يلمـس كل مـن في الغربـة رداءة تعامـل البعثـات الدبلوماسـية مـع المواطنـين وتعطيلهـم وتأخـير أو عرقلـة حصـول الكثـير مـن المغتربـين عـلى جـوازات سـفر أو أوراق رسـمية، ولـو حـضر العقـل لاسـتمات النظـام في التسـهيلات كي يكسـب القبـول بعـد الأحـداث، ولأدرك أن منطـق «انظـروا إلى حالكـم مـن دوني» لم يعـد مجديـاً، وهـو ذاتـه المنطـق الـذي طبقـه في «الرقـة» حـين لم يدافـع عنهـا وخـرج منهـا ليتركهـا نهبـاً لمـن يريـد، ويقدمهـا أنموذجـاً للمحافظـات الأخـرى عـلى مـا يحـدث في الأماكـن التـي تخـرج عـن سـيطرته، وكأنـه يقـول للآخريـن تمسـكوا بي وإلا سـوف تترحمـون عـلى أيامـي. وهنـا أيضـاً غـاب العقـل، فالرسـالة لـن تصـل مثلـما يتصـور، لأن القذائـف والصواريـخ ومـا تخلفـه مـن قتـل ودمـار في الأحيـاء السـكنية لـن تجعـل أحـداً يتمنـى عودتـه. لـو حـضر العقـل لمـا صـار مئـات الآلاف مـن السـوريين ضحايـا، والملايـين منهـم تناثـروا في الداخـل والخـارج بـين مـشرد ومهجـر ولاجـئ.. ولـو حـضر العقـل لمـا صـارت الجنسـية السـورية عـلى اللائحـة السـوداء لـدى معظـم دول العـالم، فـلا يمنـح حاملهـا تأشـيرة سـياحة أو زيـارة مهـما كان وضعـه المهنـي أو الوظيفـي لأنـه صـار باعتقـاد أصحـاب القـرار في مختلـف الـدول «مـشروع لاجـئ» هـم في غنـى عـن التـورط باسـتضافته والإنفـاق عليـه. لـو حـضر العقـل اليـوم، لعـرف مـن تسـبب في تنامـي الكارثـة – إن كان محبـاً لوطنـه وشـعبه - أن رحيلـه الـذي لم يكـن مطلبـاً في البدايـة بـات هـو المخـرج الوحيـد لإنقـاذ مـا يمكـن إنقـاذه بعـد ثـلاث سـنوات ونصـف السـنة مـن القتـل والتدمـير والتهجـير، ومـن ثـم تبـدأ مرحلـة يتكاتـف فيهـا الجميـع مـن أجـل التضميـد والعـلاج والتخلـص مـن الشـوائب التـي اجتاحـت البـلاد مـن أقصاهـا إلى أقصاهـا. مشـكلة العقـل أنـه غـاب كثـيراً وحـضرت مكانـه المصالـح حتـى لـدى أصحـاب الثقـل في القـرار الـدولي ولـدى مـن يدعـون أنهـم يمثلـون الشـعب مـن هـواة الزعامـة في الخـارج.. وتبقـى الخشـية مـن أن يطـول غيابـه، فتغيـب معـه كل ومضـات الخـلاص، وترتفـع أعـداد المهاجريـن ويصبـح وطـنٌ كان جميـلاً نهبـاً للغربـاء، ويغـدو أبنـاؤه مـن غـير وطـن.

قدر الغرف المقبضة

علي سفر

الثـورة الكامنـة ضـد قبـح أيامنـا.. عبـد الحكيـم قاسـم روائي مـصري رحـل في بدايـة التسـعينيات مـن القـرن المـاضي، بعـد أن قـاوم مـرض السرطـان طويـلاً، كتـب العديـد مـن المجموعـات القصصيـة وعـدة روايـات، مـن بينهـا روايـة جميلـة ومحزنـة في آنٍ معـاً اسـمها «قـدر الغـرف المقبضـة»، وبطلهـا هـو عبـد العزيـز الـذي يبحـث عـن مـكان يسـتطيع أن يسـكنه، ويصـل فيـه إلى الراحـة المسـتندة عـلى توافـر الأساسـيات، التـي تجعـل المـكان لائقـاً للحيـاة الإنسـانية..! تذكرنـا أيـامُ القحـط هـذه، بهـذا الـروائي وبروايتـه، إذ طالمـا كانـت نزعتـه لعـرض القباحة التـي تحتـل حياتنـا، تفسـح المجـال للتفكـير بالجـمال، جـمالٌ قـد يعنـي في تفاصيـل أعمالـه رغبتـه بالثـورة عـلى كل الكـوارث التـي حـكى عنهـا في أعمالـه. روايـة «قـدر الغـرف المقبضـة» بمجملهـا هـي سردٌ وتوصيـف للأماكـن التـي يعيـش فيهـا عبـد العزيـز، بـما فيهـا السـجن الـذي احتـواه في بدايـة السـتينيات حينـما اعتقـل المثقفـون اليسـاريون في مـصر آنـذاك..! وهـي وصـفٌ بالـغ الدقـة للغـرف الكريهـة، التـي تشـبه زرائـب تبنـى وفـق عقليـة اسـتهلاكية لا تهتـم بحيـاة البـشر. وهكـذا، وعـبر الحـسّ الـذي يراكـم القباحـة في الأمكنـة، نصـل مـع عبـد العزيـز إلى مرحلـةٍ يصـاب فيهـا بالسرطـان، فيذهـب إلى ألمانيـا للعـلاج، وهنـاك يـرى الأمكنـة المختلفـة التـي توضـح الفـرق بـين العـالم المتقـدم والعـالم المتخلـف.. وليمـوت هنـاك. هـذه الروايـة، التـي قيـل إنهـا جـزء مـن سرد السـيرة الذاتيـة، تصلـحُ لأن تكـون مثـالا أو وثيقـةً فاضحـة عـن سـوء القضـاء وسـوء الحيـاة التـي يعيشـها الإنسـان في الـشرق، وهـي كنايـة عـن سـوء التفكـير، وسـوء العقليـات التـي أسسـت الأمكنـة التـي تحيـط بنـا..! فلـو أننـا قرَّرنـا أن نخلـع رداء الاعتيـاد، الـذي يجعلنـا نتأقلـم مـع كل مـا يحيـط بنـا، وأن ننظـر إلى الجـدران الكالحـة في شـوارعنا وفي بيوتنـا؛ فهـل سـتبقى نظرتنـا مسـتغرقة في قـرار أن كلّ شيء عـادي وممكـن ومحتمـل..! يصـاب عبـد العزيـز في الروايـة بالسرطـان، ويحـاول ذات لحظـة أن يتذكـر في أيّ غرفـة وفي أيّ مـكان جـاء إليـه الـورم؟ ومـن الخلـف يتسـرب المـرض ويلتـف حـول رقبتـه، ليقـع في النهايـة فريسـةً سـهلةً.. متـى أصيـب؟.. ومـا جـدوى السـؤال؟ لقـد صرعتـه واحـدة مـن هـذه الغـرف وقـد سـقط بـلا أمـل في النهـوض! البحـث عـن البيـت اللائـق في هـذه الروايـة هـو بحـث عـن التفاصيـل المطلوبـة كي يصبـح المجتمـع حضاريـاً ومتطـوراً وقابـلاً لأن يسـمى مجتمعـاً إنسـانياً. وهـذا البحـث هـو حديـث في السياسـة ونقـاش حـول الحريـة والديمقراطيـة، وهـو محاولـة لقـراءة الأسـباب التـي تبقـي مجتمعاتنـا متخلفـةً وغـير قـادرة عـلى الارتقـاء بحيـوات أفرادهـا نحـو أحلامهـم. فـإذا كان مـوت البطـل هنـا مـؤشراً رمزيـاً عـلى فقـدان الأمـل، فـإنَّ الحقيقـة تقـول بـأنَّ الواقـع الـذي تطرحـه الروايـة مـازال متأبـداً في تخلفـه، ومـا بـرح يصـدر هـذا التخلـف أمراضـاً قاتلـة تبيـد مـن يعيشـون فيـه! كـما يصـدر هـذا التخلـف عـلى الخـارج عـبر أشـخاص يحاولـون فـرض تصوراتهـم القروسـطية عـلى المجتمـع كلـه وبقـوة العنـف، وهـذا مـا أفسـحت ثـورات الربيـع العـربي المجـال لظهـوره بعـد أن خلخلـت أربقـة القـوة السـلطوية التـي حمـت التخلـف وغطتـه بقـوة الفقـر والقهـر..! «قـدر الغـرف المقبضـة» عنـوان نسـتطيع مـن خلالـه تجـاوز حيثيـات الروايـة، لنقـرأ نوعـاً مـن البحـث في علاقـة العـربي بفكـرة الجـمال، وكيـف تسـحقّ الجماليـات في حيـاة العـربي تحـت عجـلات البشـاعة المحيطـة..! فهنـا تعيـش شـعوب مقهـورة ومذلـة، كان كل همهـا أن تحـاول البقـاء، ولعلـه مـن المؤكـد أنَّ الجائـع والمقهـور والمـذل لا يسـتطيع أن ينتـج الفـنّ ولا أن يتحسسـه، وفي حـالات أخـرى يصبـح نابـذاً لـه وطـارداً لمـن يقـوم بـه أو يصنعـه. فـإذا كانـت البحـوث الاجتماعيـة تؤكـد مـا سـبق، وتعـزّز فرضياتـه عـبر قـراءة واقـع الأمكنـة الأشـد تخلفـاً في العـالم؛ فـإنَّ عـلى المهتمـين بالتنميـة المجتمعيـة أن يعيـدوا حسـاباتهم حـين يـرون أنَّ التنميـة تبـدأ وتنتهـي عنـد الحـدود الاقتصاديـة..! فالتنميـة -وكـما تؤكدهـا لكـم هـذه الروايـة وكذلـك حيـوات المبدعـين المهـدورة عبثـاً- تبـدأ مـن الأمكنـة ومـن أمكنـة الطفولـة بالتحديـد؛ فحـين يكـون هـواء الغرفـة عليـلاً، وحـين تكـون أشـعة الشـمس حاضرةً في المـكان، لابـدَّ سـتحضر العـوالم الورديـة، والأحـلام النديـة، والرغبـة في حيـاة لا تنتهـي عـلى سريـر، في غرفـة كالحـة الجـدران في مستشـفى بعـد جلسـة عـلاج بـلا أمـل..!

من الشرق إلى الغرب.. لا تحزن يا قلب

*** محمد عبد الله الهادي**

بالطبـع يمكـن فهـم لمـاذا انتابنـا الغضـب لشـنق صـدام حسـين صبيحـة يـوم عيـد الأضحـى، والذيـن انتابهـم الغضـب ـ وأنـا منهـم ـ ربمـا لم يفهمـوا أو يستسـيغوا لمـاذا كان بعـض العراقيـين سـعداء، بـل ويحتفلـون بهـذه النهايـة التعسـة لإنسـان كان حاكمهـم السـابق لثلاثـين عامـاً قبـل الاحتـلال.

لا أذكـر أننـي رأيـت عمليـة إعـدام ـ شـنقاً أو رميـا بالرصـاص ـ في حيـاتي إلاَّ في الأفـلام السـينمائية، والإطـار الدرامـي للفيلـم هـو الـذي يحـدد موقفـك وردة فعلـك كإنسـان إزاء إنسـان آخـر تنتهـي حياتـه عـلي هـذه الصـورة البشـعة، مـا بالـك بشـنق رئيـس دولـة كان مـلء السـمع والبـصر لسـنوات كثـيرة مضـت، لكنهـم الأمريـكان بفضـل خبـث التكنولوجيـا فعلوهـا، لينتقـل فعـل الشـنق برمتـه ليتـم داخـل كل بيـت عـربي، ويكـون غصَّـة تقـف في الحلـوق مـع لحـوم الأضاحـي.

لكـن مـا رأيتـه عـلى إحـدى الفضائيـات العراقيـة ـ أيضـا في العيـد ـ ربمـا يفـسر شـيئاً مـن تـصرف هـؤلاء العراقيـين السـعداء، كانـت هنـاك أم عراقيـة مـن منطقـة الصـدر ببغـداد متشـحة بالسـواد ـ لا بـد أنهـا شـيعية ـ تشـير لصـورة طفلهـا «خُضـير» البالـغ مـن العمـر ١٤ عامـاً، المعلقـة عـلي جـدار فقـير وقـت أن أعدمتـه سـلطات صـدام عـام ١٩٨٢، قالـت الأم والدمـع يترقـرق بعينيهـا وغصَّـة أيضـا تقـف بحلقهـا، إنهـم أخـذوه مـن المدرسـة الإعداديـة مـع مجموعـة مـن ١٤ طفـلاً، ذهبـوا بهـم ولم يعـودوا، لم تعـرف تهمتهـم.. مـاذا يمكـن أن يفعـل طفـل لنظـام؟ قالـت إنهـا راحـت تبحـث عنـه لـدى كل أجهـزة الأمـن وقتئـذ دون جـدوى، بـل إن واحـداً منهـم بـلا قلـب قـال لهـا سـاخراً: كان لديـك أربعـة أبنـاء.. يكفيـك ثلاثـة! ولم تتمكـن أم خضـير مـن معرفـة مصـير ولدهـا، أو أي أحـد مـن زملائـه إلاَّ بعـد الغـزو الأمريـكي لبلادهـا ، عندمـا وجـدت اسـمه في قوائـم الإعـدام مـع الآخريـن، وبـاءت محـاولات بحثهـا المضنـي عـن المـكان الـذي دفـن فيـه بـأي مقـبرة جماعيـة بالفشـل.

كنـت أقـرأ بالمصادفـة السـيئة كتـاب «السـجينة» لمليكـة أوفقـير، ابنـة الجنـرال محمـد أو فقـير، الرجـل القـوي للملـك الحسـن الثـاني ملـك المغـرب وصديقـه الشـخصي المقـرب، والـذي أُعـدم بخمـس رصاصـات عقـب محاولـة انقـلاب فاشـلة، فانتقلـتُ مرغـماً مـن شرق الوطـن لغربـه، مليكـة ـ التـي كانـت للمفارقـة ابنـة متبنـاه للملـك وتعيـش مـع شـقيقته أمينـة ـ تحـكي قصـة السـجن الرهيـب الـذي ألقيـت فيـه هـي وأمهـا وإخوتهـا الأطفـال ـ دون ذنـب أو تهمـة ـ بأمـر الملـك لمـدة تقـرب مـن العشريـن عامـاً، لاقـوا فيهـا شـتى صنـوف العـذاب والهـوان والقهـر والنفـي والإبعـاد.. فقـط لأنهـم (أسرة أوفقـير قائـد الانقـلاب)، أخوهـا الأصغـر كان عمـره ثلاثة أعـوام، وعندمـا خـرج مـن السـجن كان عمـره ثلاثـة وعشريـن عامـاً لم يعـرف فيهـا شـيئاً عـن العـالم خـارج حـدود السـجن، ولـولا محاولـة الهـرب الناجحـة لمليكـة واثنـين مـن إخوتهـا عـبر نفـق ظلـوا يحفرونـه لأشـهر بملعقـة وغطـاء علبـة مـن الصفيـح، ومـن ثـم اتصالهـم بالعـالم الخارجـي، لظلـوا هنـاك حتـى قضـوا نحبهـم واحـداً إثـر الآخـر دون أن يعـرف مصيرهـم أحـد، خاصـة وأن أقاربهـم كانـوا قـد أُبلغـوا أنهـم ماتـوا وانتهـوا للأبـد.

ربمـا كان أطفـال أوفقـير (في الغـرب الملـكي) أوفـر حظـاً مـن خضـير وزملائـه أطفـال بغـداد (في الـشرق الجمهـوري)، فهـم رغـم كل شيء تمكنـوا مـن العـودة للحيـاة بمعجـزة.

وتظـل حقيقـة أن كثـيراً مـن الأحـداث التـي تقـع في وطننـا العـربي، وتقـف غصَّـة في حلوقنـا تـكاد تخنقنـا، تسـتعصي أحيانـاً عـلى الفهـم، ولا تدخـل بـأي منطـق العقـل السـليم للإنسـان العـربي في الجمهوريـات التقدميـة أو الملكيـات الرجعيـة .

*** روائي مصري**

حدث في زمن الأسد الأول

زوجان لزوجة واحدة

اخذت شاحنة الزيل العسكرية بصندوقها الحديدي طريقها من أعلى التل المطل على سهل صيدنايا الفسيح حيث يوجد سجن صيدنايا العسكري «السيء السمعة» والذي يعد من أعظم انجازات الطاغية «حافظ الأسد» وإحدى مكرماته لشعبنا السوري.

كانت الشاحنة تتوقف بين الفينة والأخرى عند نقاط التفتيش والحواجز، وكنت جالساً في الصندوق الحديدي برفقة عنصرين من الشرطة العسكرية وفي مقدمة الشاحنة كان يجلس قائد الدورية مع السائق وكنت أقوم حينها بحساب عدد نقاط التفتيش وكان عددها أربعة نقاط.

واختلست النظر عبر الكوّة ذات القضبان الحديدية فعلمت حينها أننا قد غادرنا حرم السجن وأصبحنا على الطريق المؤدي إلى دمشق. عشرات الكيلومترات تفصلنا عن دمشق واستلزم الوقت منا أكثر من ساعتين قطعتها الشاحنة العائدة لمصلحة السجون في «فرع الشرطة العسكرية بدمشق» وذلك بسبب الازدحام على الطرق العامة.

أخيراً توقفت الشاحنة العسكرية أمام بوابة المربع الأمني لإدارة المخابرات العامة في «دوار كفر سوسة» ونزلت من الشاحنة مقيد اليدين، واصطحبني قائد الدورية إلى المكتب الرئيسي لمدخل المربع الأمني حيث تمت عملية التسليم والاستلام كما يقال، من ثم تم اقتيادي إلى مبنى السجن «فرع التحقيق» بإدارة «أمن الدولة»، وتمت الإجراءات المعتادة لديهم والتي انتهت بإيداعي في السجن الجنوبي -جناح المزدوجات- وهي عبارة عن غرفة كبيرة بداخلها أربع غرف صغيرة وغرفة للمغاسل وكنت قد أمضيت فيه سابقا مدة تجاوزت العامين.

خمسة عشر عاماً هي الزمن الفاصل بين دخولي الأول إلى المربع الأمني عام ١٩٨٠م ودخولي الثاني عام ١٩٩٥م.

مكثت في هذا المكان أسبوعاً كاملاً، وعند سؤالي مدير السجن عن موعد إطلاق سراحي، يأتي الجواب مبهماً: «إجراءات لابد منها «.

وأخيراً، في السادس من شهر نيسان عام ١٩٩٥م حضر إليَّ في المزدوجات مدير السجن «أبو أحمد» وبصحبته عنصر من طاقم السجن وطلب إليَّ الاستعداد للخروج من السجن بناءً على قرار رئيس الفرع «من آل ناصيف». ارتبكت كثيراً وارتديت ثيابي على عجل وتركت حقيبتي وأشيائي خلفي لباقي السجناء واكتفيت ببعض الصور العائلية والطبية.

تم اقتيادي إلى المدخل الرئيسي حيث تمت إجراءات بسيطة وفتح الباب الصغير الفرعي مع كلمة لمدير السجن قالها لي: «مع السلامة» وأغلق الباب.

وقفت مذهولاً في «دوار كفر سوسة» أتطلع حولي عسى أن أعثر على أحد من أهلي أو زوجتي على الأقل فلم أجد أحداً.

أوقفت عربة أجرة وطلبت إلى السائق أن يقلني إلى المؤسسة التي تعمل فيها زوجتي في أحد أحياء دمشق الحديثة.

الوقت كان ظهراً حركة المرور بطيئة وصعبة، وجلست أنظر عبر نافذة العربة أتبين ملامح دمشق القريبة إلى قلبي وما طرأ عليها من متغيرات.

في السجن وخصوصاً في العامين الأخيرين، كان أكثر ما يؤرقني ويؤلمني هو انقطاع زوجتي وأخي الأكبر عن زيارتي وهذا أمر لم يكن مألوفاً لي سابقاً ، وعند الاستفسار من أخي الأصغر وعمتي الكبرى أثناء زياراتهم لي كانت إجاباتهم مبهمة جدا وغامضة إلى حد كبير.

اعتدت خلال سنوات الاعتقال الطويلة أن ابتعد عن التفكير بأمور أهلي وعائلتي وتركت الأمر للزمن فهو كفيل بتجاوزها.

وأخيراً توقفت سيارة الأجرة أمام مبنى المؤسسة حيث تعمل زوجتي وقصدت غرفة الاستعلامات خارج المبنى وتقدمت إلى الموظف مخاطباً إياه عبر الكوّة الزجاجية، وكان يجلس إلى جواره شخص آخر. وسألته عن إمكانية الاتصال «بالسيدة فلانة» في المبنى الرئيسي ، فأجابني من تكون؟ فرددت عليه بجدية مبتسماً أنا زوجها ! نظر إلي بدهشة واستغراب والتفت إلى الشخص الجالس بجواره والذي بدا مستغربا أيضاً ثم قام بإجراء الاتصال بعدها أغلق سماعة الهاتف قائلاً لي: «هي غير موجودة في مكتبها»، عندها طلبت منه الاتصال بإحدى زميلات زوجتي في المؤسسة ومقربةٌ منها فاستجاب لطلبي وأجرى الاتصال الثاني ثم أعطاني سماعة الهاتف فجاء صوتها إليّ مرحباً بعد تقديم نفسي لها.

وعند سؤالي عن زوجتي، أجابتني بارتباك لقد حصلت على إجازة هذا الصباح وغادرت إلى المنزل، فشكرتها بعد أن طلبت إليها إبلاغها بحضوري وأنني موجودٌ في منزل عمي بجوار «البرلمان» كما شكرت الموظف وغادرت مبنى المؤسسة.

عدت إلى الشارع لاستقل سيارة الأجرة ثانية قاصدا منزل عمي. ولدى وصولي فوجئت بوجود عمتي الكبرى تفتح لي الباب، كان الموقف مؤثراً ومؤلماً. ثم توافد الأقارب للترحيب بي وظل الأمر هكذا حتى المساء، ولم تحضر زوجتي لرؤيتي وعند الإلحاح بالسؤال على عمتي كان الجواب أن هناك زعل وقطيعة مع زوجتي وأهلها وليس هذا الوقت ملائما لمناقشة هذا الموضوع.

غادرت وأقاربي دمشق صبيحة اليوم التالي باتجاه مدينتي «الرقة» لنصلها في المساء حيث كان حافلاً بالفرح والحزن من الأهل والأقارب والأصدقاء.

كانت أولى الصدمات بعد وصولي إلى الرقة هي معرفة وفاة شقيقي الأكبر قبل عدة أشهر من الإفراج عني وهو الذي اهتم بي خلال فترة اعتقالي مع زوجتي وأخي الأصغر، لقد كانت بيننا علاقة جميلة وكنا أصدقاء.

أخيرا تمكنت وبوساطة كريمة من سيدة فاضلة في دمشق تربطنا بها وشائج قربى وصداقة من معرفة ما حدث باختصار» بعد اعتقالي عام ١٩٨٠م قامت زوجتي بالتخلي عن منزلي في دمشق وانتقلت للعيش في مع عائلتها ولمدة تزيد عن ثلاثة عشر عاماً. خلال هذه الفترة ظلت ترعاني وتهتم بي وتلاحقني حيث ما حللت في مراكز التوقيف أو السجون، ورغم حالة الإحباط التي مرت بها بعد استدعائها من قبل حاكم سورية آنذاك «حافظ الأسد» عام ١٩٨٧م إلى القصر الجمهوري ولقائه بها والذي استمر قرابة ساعة من الزمن، لم تيأس وظلت تعيش على أمل إطلاق سراحي حتى جاء العام ١٩٩٠م حيث تم تقديمنا إلى (محكمة أمن الدولة العليا في دمشق) واستمرت المحاكمات لمدة خمسة أعوام بلا أفق منظور.

معاناة مؤلمة لها ولأهلها دفعتها وتحت ضغط الأهل إلى الحصول على الطلاق وبالتالي الزواج من زميل لها في العمل. طلبت من قريبتنا تأمين لقاء يجمعنا في منزلها بدمشق وبالفعل تم اللقاء بحضور لفيف من الأقارب.

كان اللقاء ودياً وحزيناً وصريحاً، وأخبرتني عن المفاجأة التي حصلت لها ولموظف الاستعلامات في المؤسسة وكانت كما يلي [في اليوم ذاته صباحاً حضرت وزوجها إلى المؤسسة وهما من الموظفين القدامى وقاما بالتوقيع على دفتر الدوام اليومي وبعد ساعات حضرت أنا وقدمت نفسي لموظف الاستعلامات بصفتي زوجها. اخبرها الموظف بأنه لم يكن يصدق ما يجري!!؟؟ فهي حضرت صباحاً إلى العمل بصحبة زوجها، فمن يكون إذاً هذا القادم الجديد غير المألوف وجهه لدي، والذي يدعي بأنه زوجك وبشكل جدي!؟ هل يعقل أن يكون هنالك أكثر من زوج لزوجة واحدة في الوقت نفسه، وعندما شرحت له ملابسات الأمر، صفق بيديه قائلا:» حسبي الله ونعم الوكيل، كان الرب في عونكم». وأخبرتني أيضاً أنها كانت موجودة في غرفتها وهي من تولت الإجابة على الهاتف وهي منذهلة من هول الصدمة وطلبت من موظف الاستعلامات إبلاغي بعدم وجودها وخرجت إلى غرفة صديقتها مشدوهة لا تدري ما تفعل؟

وعندما تم الاتصال الثاني مع صديقتها أجهشت بالبكاء وطلبت إليها القول بأنها غادرت المؤسسة وهكذا كان الأمر.]

سألتها عن حالها، وشرحت لها بأن ما جرى هو قدرنا، هو ضريبة الانتماء لهذا الوطن الحزين والمقهور.

قلت لها بأنني مستعد لتلبية أي مقترح تراه وكان جوابها لي أنه قدر، كما قلت وأصبح كل منا في طريق وأن ذكريات زواجنا الذي امتد لخمسة عشر يومنا وما تلاها من سنوات الاعتقال هي أجمل الأيام هي أيام عزٍ عشناها معاً.

قلت لها: إنني مدين لك مدى العمر، شكراً لك على ما قدمتِ وعانيتِ. وكان هذا آخر لقاء بيننا لها مني أسمى آيات التقدير والاحترام، لقد كانت أهم عامل في صمودي في سجون الطاغية لخمسة عشر عاما لم تهزني فيه سطوة الجلاد.

محمد نبيل الفواز

العرب في تركيا

التواجد العربي في تركيا:

إن التواجد التاريخي للقبائل والعشائر والمكونات العربية يحافظ في وقتنا الحالي على استماريته، متمسكاً بأصوله العربية ومعتزاً بانتمائه للجمهورية التركية، وفي نفس الوقت تحدوه الرغبة في تعزيز التقارب والتعاون مع إخوانهم في البلدان العربية، تحت مظلة التاريخ والدين، وعلاقات الجوار المبنية على التفاهم والدعم المتبادل بين الاخوة وأبناء العمومة العرب في كل مكان.

عدد سكان تركيا يقترب من ثمانين مليون نسمة، ويشكل العرب حوالي ٩٪ من مجموع السكان، وهذا يشكل قوة انتخابية وبشرية وسياسية مؤثرة في تركيا.

حسب تقديراتنا فإنه يتواجد في تركيا حوالي ٧ مليون مواطن من أصول عربية، يتوزعون في كل من ولايات: سيرت، بيتليس، ماردين، باطمان، موش، دياربكر، شانلي أورفا، كيليس، غازي عنتاب، أنطاكيا، مرسين، وغيرها. كما يمتد التوزع الديمغرافي إلى استانبول حيث أثبت المكون العربي وجوده بنسبة ملحوظة.

القبائل العربية:

ومن ضمن ولايات تركيا ال ٨١ نجد كثيراً من الأسماء العربية لمدن وقرى عديدة.. على سبيل المثال لا الحصر: ديار بكر، روحا، أرض روم، قمرلي، حسن كيف، بيت الشباب. وفي لواء اسكندرونة بالمسمى العربي أي محافظة هطاي بالتركية، يبرز النصيريون أو العلويون العرب ويقدر عددهم بحوالي المليون ونصف المليون نسمة..

معظم عرب تركيا تجمعهم وشائج القبيلة وروابطها، وخاصة في شانلي أورفا وغازي عينتاب وماردين وباطمان وموش وسيرت. أما القبائل التي تسكن شرق وجنوب شرق الأناضول فهي: «طي، الجبور، البوشعبان، بني شيبان، بني هلال، بني تغلب، المسحرة، جملي، هوبة، دويجات، سيالة، بني عجل، بني يوسف، عبادة، سرامدة، طماح، مسيبة، نعيمي، بني أسد، مرابدة، وبني حسين، فيتيت، بني زيد، عباية، سروفة، بعيم، عدوان، بقارة، مرداسي، أفضلي، خميس، ساوي، عماري، عنيزي، خلاصي، عباسي، قريشي، داوودي، حمداني، بني خطيب، فوارة، قدي جيسي، فردون، مشهدي، مجدمي، محلمي، بني تميم، البكري، الخرزي والشيخي.

كل ما سبق ذكره من العشائر لها امتدادات في الجزيرة الفراتية ما بين العراق وسوريا، والتي بدورها تشكل امتداداً طبيعياً لقبائل وعشائر الخليج العربي، وأغلبها تعيش على الزراعة وتربية الماشية ومنهم من عمل بالتجارة وأصبح في عداد الأثرياء البارزين في تركيا. لكن لا يوجد لهم تمثيل بما يتناسب مع عددهم في الأنشطة والمحافل السياسية في تركيا.

الوضع الحالي للعرب:

وفي تاريخ تركيا الحديث من الجدير بالذكر أن العرب قدموا حوالي ٧٧ ألف شهيد في الحرب العالمية الأولى وفي معارك جناق قلعة الشهيرة. كما ويتواجد في مجلس الأمة التركي حوالي ٣٠ نائباً منتخباً من أصول عربية باستمرار.. ومنهم من شغل مناصب وزارية في فترات مختلفة.

عرب تركيا في الغالب يستعملون لهجات عربية متقاربة في حياتهم اليومية.. ومع أن اللغة العربية تعرضت لكثير من الإهمال المتعمد سابقاً.. لكن خلال السنوات العشر الأخيرة وتماشياً مع سياسة انفتاح الحكومة وإطلاق الحريات العامة.. عادت للانتشار مجدداً.

تأسيس جمعية عرب تركيا الثقافية التعاونية

أهدافنا التي نسعى لتحقيقها:

١- افتتاح ما أمكن من دورات تعليم اللغة العربية في كافة الولايات.

٢- إيفاد الشباب إلى دول الخليج والدول العربية الأخرى للدراسة.

٣- حث وتشجيع الحكومة المركزية بضرورة الاستثمار والتنمية في مناطقنا.

٤- تأمين وتسهيل زيارة الضيوف القادمين للمؤسسات العربية والتركية.

٥- تنظيم وإقامة معارض ومهرجانات مشتركة.

٦- تسهيل إشتراك أكبرعدد ممكن من الزوار في الاحتفالات الدورية بسيدنا إبراهيم عليه السلام في مدينة أورفا.

٧- تشكيل منبر للصداقة التركية العربية ومقرها تركيا.

٨- افتتاح قنوات تلفزيونية عربية في تركيا.

من محفوظات جمعية عرب تركيا الثقافية التعاونية

مجلة الحرمل
ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ تصدر عن مؤسسة توتول الإعلامية بالتعاون مع بيت الرقة لكل السوريين
المقالات التي ترد إلى المجلة لا تُردّ إلى أصحابها سواءً نُشرت أم لم تنشر.
الآراء التي تنشر بالمجلة تعبر عن رأي أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المجلة.
للتواصل عبر فيس بوك www.facebook.com/AlharmalJournal
للتواصل عبر تويتر www.twitter.com/AlharmalJournal
للتواصل عبر البريد الإلكتروني مع هيئة التحرير Alharmal.journal@gmail.com

عنايت عطار

زاوية حرة

قد أضاء الصبح لذي عينين؟!

أمريكا وازدواجية المعايير؟!

بسام البليبل

على مدى سبع حروب عربية إسرائيلية، وانتفاضتين فلسطينيتين، وسلسلة من المجازر والصراعات المسلحة.. لم تتغير المواقف الأمريكية الداعمة للكيان الصهيوني، ولم تتغير السياسة الأمريكية اتجاه القضية الفلسطينية ومن ثم اتجاه الأمة العربية.

فابتداءً بـ»روزفلت» أبرز الرؤساء الأمريكيين /١٩٣٢ - ١٩٤٥/ الذي أعلن في حملته الانتخابية تعهده بمساعدة اليهود بإنشاء كيانهم في فلسطين العربية.

ومروراً «بهاري ترومان» الذي أعلن بعد عشر دقائق من إعلان المجلس اليهودي ظهر يوم ١٤ أيار ١٩٤٨ قيام دولة إسرائيل، الاعتراف بهذا الكيان.

ولاحقاً مبدأ «أيزنهاور» الذي ضمن حماية الاستقلال السياسي لإسرائيل، وكذلك «جون كينيدي» الذي وُصف بحامي إسرائيل، والذي كان يؤمن بأن الرب يهوه هو الذي يحمي أمريكا، ويسهر على أمنها، والذي اختصر القضية الفلسطينية على أنها مشكلة لاجئين لا أكثر.

واستمراراً بموقف «ليندون جونسون» الذي جند بلاده لدعم إسرائيل في عدوان حزيران ١٩٦٧، وموقف «ريتشارد نيكسون» في حرب تشرين ١٩٧٣ الذي أقام أضخم جسر جوي في التاريخ لنقل المعدات العسكرية الفورية لإسرائيل، وصولاً إلى «رونالد ريغان» الذي اعتبر منظمة التحرير إرهابية، «وجورج بوش» الذي أطلق الحرب الصليبية الجديدة في شعاره الحرب ضد الإرهاب.

وانتهاءً بـ»باراك أوباما» صاحب الحملة الجديدة ضد الإرهاب، والذي يُعتبر المتملق الأكبر لإسرائيل، والذي أعلن أن إسرائيل لن تزول، ولن تذهب إلى أي مكان طالما أن الولايات المتحدة موجودة، والذي طالب العرب بالاعتراف بإسرائيل دولة يهودية.

ورغم هذا السجل الحافل للرؤساء الأمريكيين في أن يكونوا الأوصياء على الكيان الصهيوني العنصري الغاصب، وهذه الصراحة التي لا يخفونها في ضمان أمن إسرائيل وبقائها واستمرارها.

ظل العرب وفي كل مناسبة يناشدون أمريكا أن تكون عادلة اتجاه القضية الفلسطينية خصوصاً، وأن تتخلى عن ازدواجية المعايير في تعاملها مع القضايا العربية عموماً.

فمتى يدرك العرب أن موقف أمريكا ليس موقفاً ازدواجياً، وإنما هو موقفٌ استراتيجي، وأنّ أمريكا لا تتخذ قراراتها تحت ضغط ٢٪ من سكانها اليهود، كما يعتقد العرب، وإنما هناك أشياء أكثر واقعية ومادية، وهي أنّ إسرائيل يجب أن تكون حيث هي مصدر قوة للولايات المتحدة، وأن بقاء إسرائيل يساهم في بقاء قوة أمريكا.

ومتى يدرك العرب أنّ الولايات المتحدة لا تنفق ملايين الدولارات على المساعدات العسكرية والاقتصادية لإسرائيل لمجرد الشعور بالالتزام الأخلاقي، وإنما هو استثمار لما تعتبره أمريكا ثروة قومية كما يقول «روبرت بلاكويل» و»والتر سلوكومب» في مقاليهما: (إسرائيل ثروة استراتيجية للولايات المتحدة).

وأنّ أمريكا لا تخوض حروبها العالمية الجديدة ضد الإرهاب - الذي صنعته – كما تزعم، أو لمصلحة سوريا والعراق كما قد يعتقد البعض، وإنما في سبيل الحفاظ على أمن الكيان الصهيوني الذي لا يستقيم إلا إذا تحول جوار إسرائيل العربي المعادي إلى كياناتٍ ضعيفة فاشلةٍ هجينة، وإلى تخوم متحاربة، وبؤر صراع متفجرة.

فمتى سيتخلى العرب عن التشكّي والتظلم والمناشدة والاستسلام للسياسات القدرية التي هي منهج الضعفاء، واعتماد سياسة مواجهة لما يسمى ازدواجية المعايير التي هي سياسة دولية توزن بمكاييل المصالح، والعمل على تفكيك هذه المعايير، وتخريب هذا المنطق، والوقوف في وجه تطبيق هذه الازدواجية، والعمل على أن تكون لنا قوة قلب الموازين وليس الخضوع لموازين القوى.

فهل أضاء الصبح لذي عينين؟!

تحية إلى الحرمل !

شكري قيربوغا - الأمين العام لجمعية عرب تركيا الثقافية التعاونية

في بداية قرن جديد، نجد أنفسنا وجهاً لوجه مع آلام القرن الماضي، لأنه وبظهور الحركات الأيديولوجية القومية والأممية ظهرت فروقات قاطعة فيما بين الشعوب المتآخية، ومن ثم وجدت نفسها على مفترق طرق فيما نحن شهود على جانب من هذا التاريخ.

فإن لوحظت عزلة طويلة من خلال جيلين أو ثلاثة، فإنه ومن خلال التاريخ لم يلاحظ هذا الأمر وعلى فترة طويلة من الزمن. كذلك الشعوب التي لم تفصلها يوماً حدودٌ شكلية، فصلتها الألغام والأسلاك الشائكة، وكذلك فرقت الأقارب وأفراد العائلة الواحدة، الذين ذهبوا مغادرين هذا العالم وكلهم ألم وشوق.

لكن هذه الفترة التي عشناها وعانينا ما عانينا فيها من الألم والأسى، جعلتنا نهتز ومن أعماق أعماقنا. أراضينا في خضم النار والدماء، عائلاتنا تمزقت، مدننا أصبحت أطلالاً، نُهبت مواردنا الطبيعية وحتى ثقافتنا، إلى أن وصلنا إلى حالة لم نعد نحس فيها بأي ثقة بأنفسنا وبالجغرافيا التي نحياها.

أمواج الهجرة جعلتنا نبتعد عن أراضينا التي ولدنا عليها وفيها ترعرعنا، كما جعلتنا نتمسك بالعيش بأماكن جديدة ما عرفناها من قبل.

هذه باختصار حكاية المهاجرين المقيمين القادمين من البلاد الأخرى، من سوريا ومن العراق، كل حكاية فيها ما فيها مما لايحتمل من الآلام.

في القرن الأخير تماثلت الأيديولوجيات، كثيرة الثقافات التي احتوت على مفاهيم كثيرة عملت وبدون رحمة وبشكلٍ سيءٍ على خلق الفروقات، هذه المفاهيم خلقت زعزعة في الجذور لدى المجتمعات الإسلامية، مما يجعلنا نقف عند هذا الموضوع ونفكر فيه ملياً، لأنه وفي زمن قريب عشنا موجات من الهجرة، شئنا أم أبينا، ومن جديد عشنا حياة شديدة الثقافة، وبالخصوص في بعض المناطق كانت هناك أسبابٌ لنعيش مشاكل متفاقمة.

إنساننا الآن أصبح يتكلم بلغات مختلفة ومنها العربية والكردية، وأصبحنا نلتقي بأناسٍ ذوي عادات وأعراف مختلفة في مثل هذه الحالة فإنّ المقيمين واللاجئين، رغماً عنهم، واجهتهم مشاكل جاءت من هذا الوضع، هم ما تعودوها، وبالأصح تمّ تناسيها.

إنّ الحياة عالية الثقافة هي بالأصل الحقيقة النابعة من حياتنا الطبيعية الثقافية والتاريخية، أمّا وقد وجب التذكير بذلك، فقد أحسسنا بأننا مكلفين بإعادة تشكيل الوسط الاجتماعي المطلوب.

ماذا يمكن أن نفعل في هذا المجال؟ وبناء عليه قمنا باستشارات واسعة، ونتيجة لجهود واستشارات وصلت لأيدينا مجلة «الحرمل». من أجل إعادة الحياة ومن جديد لوسط الأخوة المنسية بين الشعوب، ومن أجل جعلها صوتاً للمظلومين، ومن أجل تقديم إضافة لحياة ثقافية واسعة، أخرجنا هذه المجلة. وإن شاء الله نكون بهذا قد وصلنا للنتيجة المطلوبة، ونكون قد أدينا وظيفتنا.

جزيل الشكر لأصدقائنا وزملائنا اللذين بذلوا كل أنواع الدعم سواء مادياً أم معنوياً لإخراج «الحرمل» واثقين بأننا سوف نحفظ لكم دعمكم هذا.

ترجمة: خليل المصطفى

al harmal'a merhaba

Şükrü Kırboğa

Yeni bir yüz yılın başında, geçmiş yüz yılın acılarıyla yeniden yüzleşiyoruz. Milliyetçi ve ulusalcı ideolojik akımların keskin çizgiler ile biri birinden ayırdığı kardeş halklar yeniden biri birinin farkına varıyor ve biz bu tarih kesitine şahitlik ediyoruz. İki veya üç nesil ile ifade edilebilecek bu ayrılık uzun görünse de tarih süreci içerisinde hiç de uzun olmayan bir zaman kesitini kapsıyor. Geçmişte hiçbir fiziksel sınırın ayıramadığı halklar ne yazık ki mayınlarla, tel örgülerle bir birinden ayrıldı. Aynı aile ferleri bile akrabalarını görememenin verdiği özlem ve acı ile bu dünyadan göçtü gitti.

Fakat yaşadığımız bu sürecin bu kadar acı ve ızdırabı içinde barındırması hepimizi derinden sarsıyor. Coğrafyamız kan ve ateş içerisinde. Aileler parçalanıyor, şehirlerimiz harabeye dönüyor, kültürel ve doğal zenginliklerimiz olabildiğince yağmalanıyor.

Artık coğrafyamız da kendimizi güvende hissedemez hale geldik, göç dalgalarıyla hepimiz vatanlarımızdan doğup büyüdüğümüz topraklarımızdan uzaklaştık, yeni ve tanımadığımız yerlerde yaşama tutunmaya çalışıyoruz. İşte Suriye'den, Irak'tan ve diğer ülkelerden yaşanan göçlerin kısa hikâyesi bu. Her hikâye içerisinde dayanılmaz acılar barındırıyor.

Son yüzyılın ideolojileri tek tipleştiren, çok kültürlülüğü kötü gösteren ve farklılıkları acımasızca yok etmeye çalışan anlayışlarla dolu. Bu anlayışların İslam toplumlarında kök salması da ayrıca üzerinde durup düşünülmesi gereken bir konu olmalı. Çünkü yakın zamanda yaşadığımız göç dalgası ile çok kültürlü yaşam ile ister istemez yeniden karşılaştık ve özellikle bazı bölgelerde ciddi sorunların yaşanmasına da sebep oluyor.

İnsanımız artık çevresinde Arapça, Kürtçe ve farklı dillerde konuşan; gelenek görenek ve kültürel farklılıklar gösteren insanlarla karşılaşıyor. Bu durum hem yerleşimciler hem de zorunlu mülteciler açısından alışık olmadığı daha doğrusu unutturulduğu bir durum ve problemlerde buradan kaynaklanıyor.

Bizler çok kültürlü yaşamın aslında bizim tarihsel ve kültürel doğal hayatımızın bir gerçeği olduğunu yeniden hatırlatmak ve istenen diyalog ortamını yeniden oluşturmak için kendimizi görevli hissettik. Bu konuda ne yapabiliriz diye geniş istişareler yaptık. İşte elinize ulaşan "Al-Harmal" dergisi bu istişarelerin ve bu çabanın bir ürünüdür.

Halklar arasında unutulmuş kardeşlik ortamını yeniden diriltmek, mazlumların sesi olabilmek ve çok kültürlü yaşama katkı sunmak için çıkardığımız bu dergi ile inşallah istediğimiz sonuca ulaşır ve görevimizi ifa ederiz.

Al-Harmal'ın çıkarılmasında emeği geçen, maddi ve manevi her türlü desteği veren dost ve arkadaşlarımıza teşekkür ediyor, sizlerinde desteklerinizi esirgemeyeceğinize inanıyoruz.